

التحقيق الجنائي والجريمة

جمال شاهين

٧

٧

بصمة وراثية

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

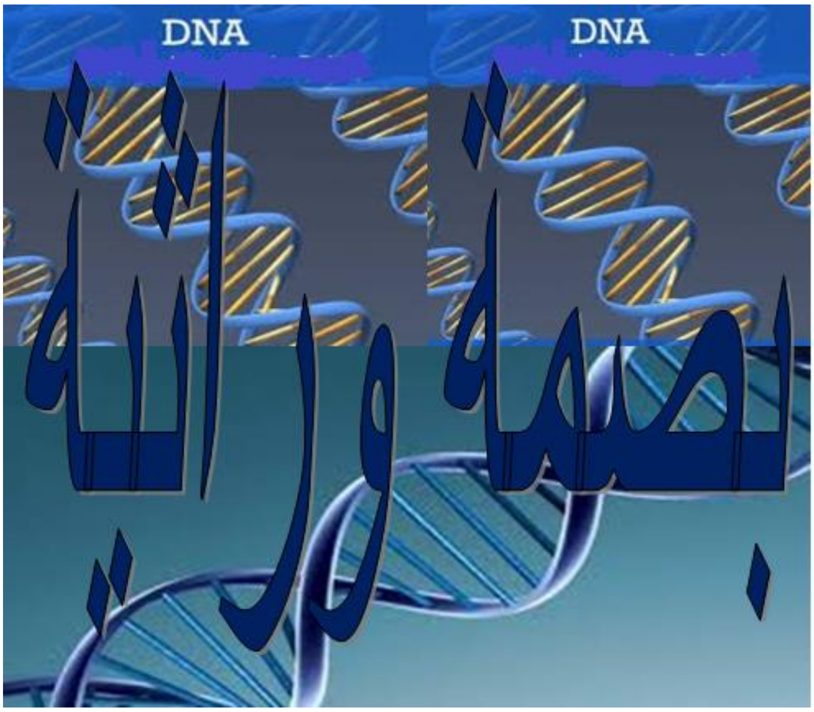
٢٠٢٣/ ١٤٤٤

الكيوي

جمال شاهين



جمال شاهين



الصغير عرفان

الرجل الكهل ناصر رشيدي كان يخاطب ولديه الصغيرين بخوف وعصبية ، فمنذ أيام انتهى من عزاء زوجته أم عرفان ، ومما قاله لهم : كلي حزن وهم عليكما يا أطفالي الصغار بعد موت أمكم ـ رحمها الله ـ فأنا قد تزوجت أمكم لأرتاح من الشجار والصراخ والحرب مع زوجتي الأولى أم زياد .. ولكن ماتت أم عرفان وظلت أم زياد .. وشاء القدر لي الحزن والشقاء .. فأم زياد لا تحبكم .. تبغضكم ، تكرهكم ، بل جعلت أولادها يبغضونكم ويكرهونكم .. وأنتم لا دخل لكم ولا ذنب ؛ ولكنكم أبناء ضرتها .. فعليكم بالتحمل والصبر حتى تكبروا وتشبوا وتعتمدوا على أنفسكم .

كان هذا الخطاب موجها لفتاة عمرها أربعة عشر ربيعا ، وشاب دونها بعامين أنجبتهما له زوجته سعادة ، كان ناصر ذا مال ودخل مادي بسيط لا يكفي الصرف والنفقة على البيت المكون من زوجتين وثمانية أبناء وتاسعهم ناصر، فبسبب الحاجة وقلة المال كانت الزوجتان تعملان بأعمال الإبرة والخياطة والصوف للمساعدة في زيادة دخل الأسرة ، ولم يتزوج ناصر الثانية إلا بعدما كبر ابنه زياد وتخرج من الجامعة .. فبعد ذلك غامر وتزوج أم عرفان ، فكان زياد وإخوته الخمسة ـ ثلاثة ذكور (مراد) (فارس) (عصام) وابنتان (أسمهان) (ليلى) ـ لا يتعاملون بود وعطف مع أخويهم من زوجة أبيهم (عرفان وأمينة)، بل كانوا يسمحون لأنفسهم بإهانتهم وضربهم والانتقام منهم والإساءة إليهم لمضايقة زوجة أبيهم .. فزادت المشاكل والمعارك بين الأب وأم زياد .. ويفزع الجيران والأهل للإصلاح.

وكان الأب ناصر حزينا جدا على وفاة زوجته سعادة ، فهو قد أصيب من سنوات خلت بمرض أقعده عن العمل .. فكان يعتاش على إحسان زوجته سعادة وبعض الفتات الذي يأخذه من أولاده الكبار .. ولما تزوج ابنه البكر زياد قطع عنه المساعدة .. فصبر الرجل وزاد كفاح زوجته .. ثم تزوج الآخر والثالث والرابع والبنتان ، ثم رحلت زوجته الأولى للحياة مع أحد أبنائها ، فكان ناصر رشيدي متألما وحزينا لأعلى درجة على موت زوجته الثانية ، ومشاكله المتكررة مع

أبنائه لم تدفعهم للشفقة عليه ، ولكن اليوم ماتت الزوجة المواسية العاملة ، فلما أدرك ابن الاثني عشرة سنة الوضع ، أخذ يبيع اللبان وقطع الحلوى والسكاكر على محطات السيارات والباصات ومواقف الحركة ، كان يفعل ذلك بعد عودته من المدرسة ، ولكنه وجد أن المردود البسيط لا يكفي للصرف على أبيه المريض وأخته أمينة ، فرويدا رويدا هجر المدرسة ، وقد أصبح لا يفهم شيئا من الدروس ، ولما بلغ خمسة عشر ربيعا اشتغل خادما في أحد الفنادق الكبيرة في المدينة العاصمة بمساعدة أحد الناس .. فتحسن دخله نتيجة خدمة ضيوف الفندق ونزلائه.

وبعد حين تزوجت أخته أمينة من رجل فقير من سكان الحي ، شعر أن أباه زوجها لابن جار لهم ليخفف العبء عنه ، وخلال هذه السنوات لم يكن إخوته يترددون على أبيهم المريض إلا في مواسم الأعياد أو عندما يسمعون أنه على وشك الموت ، آلام كثيرة في قلب عرفان ، متألم من هجر إخوته له ، وكان ممزق القلب حزينا أن أحدا منهم لم يفكر بزيارة أخته وأختهم في موسم عيد أو مرض ، كانت أكثر أمواله تصرف على شراء الدواء لوالده الكهل ، تحمل عرفان كل ذلك ، ولم ينس تركه المدرسة بسبب ظلم إخوته وتحمله مصروف الأسرة وحده ، تخلوا عنه وعن أبيه وأخته ، لم يردوا جميل أبيهم لهم يوما ما ، كانوا يرون أنهم تعلموا ودرسوا من نقود أمهم وشقاء أمهم بهيجة.

مكث عرفان في الفندق عاملا أكثر من ثلاث سنوات قبل أن يتغير مجرى حياته بصورة عجيبة ذات يوم كان عرفان يخدم رجلا أجنبيا من أمريكا اللاتينية من فنزويلا بالذات ، ومكث هذا الرجل أكثر من شهر نزيلا في الفندق ، وكان عرفان مهتما به وبتوفير الراحة والخدمة له طوال هذه المدة ، فذات يوم قال الرجل الكبير لعرفان : يا عرفان منذ نزلت هنا وأنت تقوم برعايتي وقد لاحظت عليك يا ولدي حزنا ودموعا مرسومة على محياك.

فقال عرفان : أشكرك سيد رومانوس .. مشاكل الدنيا .. هموم الأسرة.

وفضفض عرفان بحديث عن ذكريات موجعة ، مما رقق قلب الرجل المدعو رومانوس وقال

له في النهاية : بلدنا فيه عرب كثير ، سافر سيد عرفان .. هاجر .. هناك دخل أكثر من هنا .. فما رأيك بالهجرة إلى هناك قد انعطف قلبي إليك ؟

بكى عرفان ، وشكر الرجل ، وتمنى ذلك وقبل العرض من غير تردد فأعطاه الرجل ألف دولار ليقوم بإخراج جواز سفر والسفر إلى مصر ، ومنها إلى كاركاس عاصمة فنزويلا ، وأعطاه الرجل عنوان إحدى الشركات التي يملكها فقبل عرفان يد الرجل أكثر من مرة ، وذرف الدموع عندما رأى الحنان الذي أغدقه عليه الرجل الغريب رجل الأعمال الفنزويلي ، هكذا كانت البداية.

سر والده ناصر ، وربما تظاهر بالسرور لما أخبره عرفان بأمر الهجرة، وشجعه على السفر وقال بشجاعة وتضحية : لا تهتم بي يا ولدي ! الله موجود ورحمته واسعة .. سافر .. هذه فرصة للرحيل .. فكثير من أبناء العرب يهاجرون لتلك الدنيا ، وسأطلب من أختك أمينة وزوجها السكن عندي.

فقال عرفان : أخشى أن لا يوافق زوجها أو أهله على ذلك

ـ إن شاء الله سوف يوافق .. فزوجها رجل طيب

ـ وأنا عندما أصل إلى هناك ، وأستلم أول راتب سأرسله لكم يا أبي .. أقسم أن لا أنساك.. عليّ أن أجرب حظي .. أنا حزين جدا على فراقك ، وأنت بهذا الضعف؛ ولكنك كما قلت الحياة فرصة .. فلربما هذه فرصتي لأتخلص من الفقر ، وقلة ذات اليد.

وبكى الرجلان ، وتذكروا جحود زوجة أبيهم وأولادها لهم ، قام الشاب بإخراج جواز السفر وتحدث ناصر رشيدي مع جاره والد زوج ابنته ، فوافق الجار وتردد الابن ، ولكن لما اطمأن أن عرفان سوف يضع بين يدي أخته بضع مئات من الدنانير للاعتناء بأبيها بالطعام والدواء حتى يرسل لهم المال باستمرار من هناك ، فوافق على الحياة في بيت والد زوجته.

تحدث عرفان مع رومانوس الفنزويلي، وأعلمه بإخراج الجواز ، وأنه اشترى تذكرة سفر للقاهرة في مصر، وطلب منه بعض المال لتركه عند والده المريض يشتري به الدواء ريثما يباشر

عمله، ثم يسدده إياه ويرسل لأبيه منه ، وكان الرجل سخيا فأعطاه ألف دولار أخرى على سبيل الشفقة والعطف والمساعدة، وأعطاه رسالة للسفارة في مصر لمساعدته للسفر إلى أمريكا.

كانت لحظات الوداع قاسية على قلب ناصر رشيدي، ووقع في قلبه أنه الوداع الأخير، ولكنه غلب مصلحة ابنه الضعيف على حاجته إليه في ساعاته الأخيرة ، ورحل عرفان إلى فنزويلا ، وفي إحدى شركات النفط التي يديرها رومانوس وظفوه عاملا بسيطا في مكاتب الإدارة.

وقد كان عند حسن ظن السيد رومانوس ، فلما تحسن لسانه وأصبح يفقه الإسبانية لغة البلاد الرسمية أرسله السيد الكبير في دورة سكرتاريا ومراقبة إنتاج العمال ، وخلال خمس سنين تحسن دخل عرفان ، وظهر نشاطه وإخلاصه للسيد رومانوس ، وأتقن الواجبات المطلوبة بكل همة ودراية ، ولم ينقطع خلال هذه السنوات من إرسال المال لوالده ، ونزل إلى البلد مرة واحدة خلالها وسعد أبوه برؤيته ، وكذلك أخته وزوجها ، وأدخل والده للمستشفى عدة أيام وفي هذه الزيارة لم يأت أحد من إخوته للسلام عليه ، ثم سافر ثانية ، وأمضى السنوات الخمسة الأولى من عمره في فنزويلا في العاصمة كاركاس.

وهذا الاسم يعود إلى قبيلة هندية ، كانت تقيم في هذا الوادي قبل أن يدهمها الغزو الإسباني عام ١٥٢٢ م وقيل ١٥٤٦ م ، وحضارتها حضارة المايا قبائل الهنود الحمر، والمدينة القديمة يعود إنشاؤها إلى ٤٠٠ عام ، وأنها تمتلئ بالخضرة والأزهار على مدار العام وخصوصا أزهار الأوركيد ، وهي الزهرة القومية للفنزوليين ، ولها ستة آلاف نوع ، وهناك أشجار الاكاسيا ، وتحمل شوارع كاركاس أسماء الكثير من الأزهار ، وحية أناكوندا وهي أكبر حية في العالم تعيش في مستنقعات فنزويلا ، وقد بنيت العاصمة على نمط المستعمرات الإسبانية ، شارع هياتو يمثل قلب المدينة الثقافي ، وقد تأسست العاصمة عام ١٥٦٧ م ، وهي مطلة على البحر الكاريبي ، وحيث تطل حدود فنزويلا من الشمال على ٣١١ جزيرة ما بين الكبيرة والصغيرة ، ومن أشهرها جزر السلاحف البحرية ، وجزيرة الطيور ، وتعتبر جزيرة مارجريتا لؤلؤة البحر الكاريبي ، ففيها تجتمع الجبال السوداء وشواطئ الشعب المرجانية وخضرة أشجار جوز الهند

وأهم ميدان في العاصمة وفي وسطها ميدان بوليفار أو البلازا بوليفار ، ويطل برلمان الجمهورية على الميدان ، وتوجد الكاتدرائية خلف الميدان ، وأمامها قصر الرئاسة القصر الأصفر ، وقد قامت عدة ثورات فيها للتحرر من حكم الإسبان ، وضمت مرة أو أكثر بكولومبيا ، وفي عام ١٨٣٠ م انهار الاتحاد ، وهي خليط من الأجناس الهنود الحمر والأوربيين والإسبان والزنوج وغيرهم ، وأكثر السكان كاثوليك ٩٦ ٪ ، ونسبة ٢٪ بروتستانت ، وفيها عرب مهاجرون من الشام ومصر وأفريقيا.

وبعد مضي السنوات الخمسة الأولى أتته برقيه فيها نعي والده ناصر .. فطلب إجازة بضعة أيام قضاها في البكاء والنحيب على جسد وروح والده الذي مات وهو بعيد عنه، ثم قرر أن ينزل للبلد ، فنزل فزار قبر والده ،وتصدق عن روح أبيه، وقد زاد سنه عن الخامسة والعشرين في ذلك الحين ، فطلب من أخته أمينة أن تخطب له فتاة من بنات الحي تقبل السفر معه ، فأرشده صهره إلى ابنة رجل يدعى خالد سنارة ، فله بنت جميلة حسناء تشتاق إليها العيون ، اسمها مجدية فذهبت أمينة إلى تلك الأسرة ، وتحدثت مع الفتاة وأمها عن محاسن أخيها ورغبته بالزواج من ابنتهم .. فرحبت الأم وزوجها خالد بذلك ، وأما البنت رفضت وأبدت رغبتها بالزواج من رجل مقيم في البلد ، وأنها لا تحب الغربة والهجرة ، ولكن إغراء المال والهدايا والعجلة ـ فعرفان سفره قريب ـ فقد ضغط الأب والأبناء على البنت ، وتعرضت للضرب والإهانة حتى تظاهرت بالرضوخ والموافقة ـ وهذا لم يعرفه عرفان ، ولا سمع به ـ فتمت الخطبة والزواج وسافر بها عرفان لتلك الدنيا ، وقضت معه سنة رأى منها التعاسة والشقاء والشجار، ولما رأى أنها مصرة على الطلاق والفراق والعودة للبلد ، وتيقن أو ترجح لديه أن أهلها أجبروها على الزواج طمعا بماله ، فطلقها وأعطاها مؤخر صداقها ، وسفرها على حسابه الخاص إلى بلادها ، فلما وصلت ذاقت من أهلها سوء العقاب والاحتقار ، فتقدم لها شاب كان عاشقا لها قبل زواجها وهو السبب الأكبر في فشل الزواج من السيد عرفان ، وكان هو سبب تعاستها مع عرفان ، ولكنها قبل الزواج منه اكتشفت أنها حامل عندما قامت بإجراء الفحوص المعتادة

لمعرفة الحمل ، وتأكد لها أنها حامل منذ شهرين ، وهذا هو سبب انقطاع الطمث ، فاضطربت واتفقت مع حبيبها على كتمان الأمر ، وأن يبقى المولود باسمه فوافق ، ولم يدركا خطورة هذا الأمر ، ولما انتهى الشهر الثالث ، وظن الجميع أن فترة العدة ـ عدة الطلاق في الإسلام ـ انتهت تم عقد الزواج ، وخرجا من الحارة إلى حارة أخرى ، وبعد شهور وضعت مجدية مولودها ونسبته لزوجها وحبيبها قبل الزواج ، وكانت مجديه في الشهور الأخيرة من الحمل قد هجرت أهلها ، ولم تزرهم ولو مرة واحدة حتى ولدت ، وأصبح وليدها ابن شهرين فتجرأت حينئذ أن تذهب إليهم ـ والغريب أن الأمر لم يثر دهشة الأقارب والأهل ، وإن اشتهر بينهم تبرير أن هناك حملا وولادة تتم خلال ست أشهر أو سبع ـ وهمس بعضهم أن معاشرة حدثت بين الزوجين قبل انتهاء العدة ، فحب وعشق مجدية لجاسم كان معروفا لأهلها ولبعض الجيران ، ولم يفكروا بالتدقيق بما يسمعون ، فهم بعد عودتها من فنزويلا كانوا يحتقرونها ويسمونها بالخائبة ، ويرون أنها لا تستحق النعمة أضاعت الثروة والغنى من أجل شاب هامل ساقط في نظرهم فتركوها وشأنها ، لقد ولدت إذن مجدية ولدا اسمته شاهرا وحمل اسم زوجها الأخير والحبيب جاسم ، هذا ما كان من أمر مجدية وجاسم.



بعدما فشل عرفان بزواجه من بنات دينه وبلده وجنسه انشغل بالدراسة والعمل ، وقام صاحب الشركات الكبيرة رومانوس بتزويجه من ابنة أحد كبار موظفيه ، واندمج كليا بحياة المجتمع الفنزويلي ، ونسي وطنه وبلاده ، وكان كل موسم عيد الأضحى يرسل لأخته أمينة ما بين ألف دولار إلى ثلاثة آلاف دولار حسب ما يتوفر لديه ويزيد عن حاجته ، واستمر على ذلك أربع أو خمس سنوات حتى تلقى برقية من بلده فيها نبأ وفاة أخته أمينة أثناء الوضع لطفلها السادس فعندئذ كف عن إرسال المال والهدايا والرسائل ، وانقطع الخيط الذي كان يذكره بالوطن ،

واندمج كليا في حياة رجال الأعمال في فنزويلا ، وبعد موت رومانوس الثري الفنزويلي تقاسم أبناؤه وورثته إدارة شركاته وأمواله ، فتشارك عرفان مع أحد الأبناء في إدارة أحد المصانع ، ونتيجة حادث كبير تعرض له شريكه استطاع عرفان امتلاك المصنع وحده .. ثم زادت الأموال بين يديه ، وزادت المشاريع ، وكبر عرفان سنا وثروة ، وقد أصبح الرجل من رجال أعمال تلك البلد ، فانضم للجمعيات والنوادي الخاصة ، وكذلك حضور مؤتمرات رجال الأعمال ، وكبر الأولاد من زوجته الفنزويلية التي ورثت هي الأخرى عن أسرتها المال الغزير ، وتخرجوا من الجامعات ، ونسي الناس أصله العربي مع طول السنين، وهو كأنه نسي ذلك.

أصابه الحنين بعد أكثر من ثلاثين سنة قضاها عرفان في فنزويلا حيث البترول والحديد والفحم والذهب والنحاس والكاكاو والقصب والذرة والجزر وسيمون بوليفار الثائر الفنزويلي ضد الاستعمار الإسباني، حتى عملة فنزويلا تحمل اسم هذا الثائر ، فاعلم أن جمهورية فنزويلا تقع على الشاطئ الشمالي لأمريكا الجنوبية وتحررت هذه البلاد عام ١٨٢١ ، وأصبحت جمهورية سنة ١٨٣٠ تحكمها حكومات عسكرية حتى سنة ١٩٧٣ م، وتزيد مساحتها عن ٩١٢ كيلو متر مربع ، فهي مساحة كبيرة ، وعدد سكان قليل حوالي عشرين مليون ، فلما بلغ عرفان الخمسين عاما خطر له النزول لوطنه العربي سائحا ، فأخذ إجازة ثلاثة أشهر، وسافر لمصر العربية حيث تتوفر الرحلات بالطائرة بين فنزويلا ومصر أو ينزل المسافر لأقطار الوطن العربي أولا إلى أمريكا الشمالية إما فلوريدا أو تكساس ثم أوروبا فالدول العربية ، وبعدما استراح بضعة أيام في قاهرة مصر نزل مدينته الكبيرة الثعبانية وهي عاصمة كبيرة ، ومركز القطر حيث المطارات ، والضواحي الكبيرة ، ومراكز الثقافة والعلم والجامعات والمدارس الكبيرة ، فوجد عرفان أن البلاد قد تغيرت شوارعها ، وكبرت عمارتها ، وزادت سيارتها ، وتطورت المدينة كثيرا .. فاشترى جبلا يبتعد عن قلب العاصمة ساعة في السيارة المعتدلة السرعة ؛ ولكنه من ضمن حدود العاصمة ، وطلب من مكتب هندسي رسم مخطط لإنشاء قصر عظيم وضخم .. ثم أجرى اتفاقا مع إحدى شركات الإنشاء والعمران لإقامة البناء وتشييده ، وقد وقع عقدا مع

مكتب محاماة ليكون وكيلا عنه في متابعة البناء والإنفاق عليه ومراسلته ، وخلال هذه الزيارة لم يحاول عرفان الاتصال بإخوته أو حتى معرفة أخبارهم ، فكأنه نسيهم تماما ، وحتى لم يحاول السؤال عن أولاد أخته أمينة ، إنما كان دافعه الرئيس لإنشاء القصر الحنين والشوق للوطن ، ولما رتب إنشاء القصر رجع لبلاده ، وبعد عامين اكتمل بناء القصر على قمة الجبل كما أحب ورغب.

وقد أحيط بالأسوار العالية ، والأنوار الباهرة ، وغرست فيه الأشجار، وأحواض الأزهار ، وتم إنشاء شارع معبد يمتد من القصر حتى شارع الحكومة الرئيسي ، وأطلق عليه العمال قصر الفنزويلي ، ولم كمل العمل قام عرفان بزيارته ومشاهدته حجرة حجرة وقاعة قاعة ، ورتب أمر فرشه بأجمل الأثاث ، وأفضله في ذلك الوقت ، ورتب له الخدم والحرس والطهاة ، كل ذلك بمساعدة وكيله مكتب المحامي حميد عز الدين ، وكان كل هؤلاء يقبضون مرتباتهم عن طريق الوكيل حميد ، وقد أصبح القصر مضافة وفندقا لكل ضيوف عرفان ومحبيه الذين ينزلون الشرق الأوسط للسياحة وحضور المؤتمرات والاجتماعات والندوات ، ثم قام عرفان بإنشاء شركة مع بعض رجال الأعمال الذين تعرف عليهم عن طريق المحامي حميد ، وبدأ يخطط لإقامة المزيد من المشاريع والاستثمار في هذه الدولة وقد وجد تعاون إدارة البلاد العليا معه ، ولم يحاول عرفان ذكر أي شيء لمن التقى بهم من أهل البلد عن حياته الماضية والطفولة والمراهقة في هذه المدينة التي شهدت ولادته ، بل لم يحاول الالتقاء بأحد معارفه وأصحابه أيام الطفر والإفلاس والجوع والتعري ، ولابد أنهم أصبحوا أشباحا في ذاكراته ، وكان يخطف نفسه في كل زيارة للقطر لزيارة قبر والده الذي مازال يذكره ، وكذلك قبر أمه، وكان كثير من رجال الأعمال الذين تعامل معهم في هذا البلد يظنون أنه غير مسلم ، ولكنه مستثمر من أصل عربي.

وكان عرفان بعدما اكتمل قصره الواقع على جبل الأعمدة في الثعبانية قد صار ينزل كل سنة أو سنتين للحياة فيه ، ويتفقد الاستثمارات والشركات التي أنشأها في موطنه الأصلي ، ويستقبل محبيه وشركاءه ، ولا ينزل الفنادق الكبيرة ذات النجوم الخمسة ، ويلتقي بمحاميه حميد عز الدين

أو مساعديه وشركائه في المكتب ، وكان المكتب يوافيه بتقارير مجالس الإدارة في الشركات ، وتقارير شركات التدقيق المالي ، وكان يرافقه أحيانا في بعض الرحلات سكرتيره الفنزويلي السيد ارباس سبرانتو ، وكان من هوايات السيد عرفان والتي شغف بها جمع المجوهرات النادرة وينافس كبار الأثرياء في العالم للحصول عليها وابتياعها ، بل كان مغرما بهذه الهواية ، وكان يواعد تجار مثل هذه النوادر والالتقاء بهم في قصر جيل الأعمدة في مدينة الثعبانية ، ويعقد معهم الصفقات ، ويؤمن لهن الرحلات لتلك البلاد من أقطار الدنيا على نفقته الخاصة ، وينقلون إلى قصره بسيارات خاصة ذات مواصفات دقيقة وأمينة وحماية شديدة ، وقد عرفه كثير من رجال الأعمال والمال في الوطن ، وأصبح معروفا خلال سنوات على مستوى كبار رجال البلد ، وتنشر الصحف المحلية أخبار مجيئه وسفره ونشاطه واجتماعاته مع كبار الشخصيات، ويقوم هؤلاء بزيارته للسلام عليه والترحيب به عند مجيئه ، ودعوته للغداء أو العشاء وسهراتهم ولكنه يعتذر لاعتلال صحته في الآونة الأخيرة ، وعدم تعاطيه للخمر، وعدم ميله للسهر ، بل فاجأ محاميه يوما بأمره بتشييد مسجد جميل في أحد أحياء العاصمة الراقية ، مما ادهش محاميه الذي اضطر لمصارحته بهذا الأمر وقال له عرفان الفنزويلي كما اشتهر بذلك : أنا مسلم مثلك أيها الرجل ، وعربي مثلك.

فقال المحامي حميد العجوز : أنا أدركت أنك عربي منذ سنوات ، منذ بدأنا وتعارفنا، ولكنك لم تتحدث يوما عن عربيتك ودينك ، بل ظننت أنك من نصارى أو يهود العرب أيها السيد الكبير

فقال عرفان متبسما : اسمي يدل على عربيتي.

فقال المحامي : هو الوحيد الذي يدل على أنك عربي ؛ ولكن باقي الاسم فنزويلي كما هو في جواز سفركم ..ولكني عرفت أنك عربي أيضا من سكرتيرك سبرانتو .. ، ولكنك تتحدث معنا بالإنجليزية وتتحدث معه بالإسبانية.

فتظاهر عرفان بالابتسام ثانية وقال : لقد درست الثانوية والجامعة هناك .. وأنا أترك كل أقوالي وأفعالي لارباس فهو صديقي منذ أكثر من عشرين سنة.. وأنا صحتي منذ سنوات تحتاج لرعاية

خاصة من أجل ذلك يرافقني الطبيب باستمرار .. وأنا يا أستاذ حميد ابن هذا البلد .. هاجرت منه شابا صغيرا دون العشرين سنة .. بسنة أو أشهر .. ولي ما يزيد عن خمس وثلاثين سنة في فنزويلا .. أنا مسلم مثلك.

هذا ما استطاع أن يسمعه المحامي حميد من الثري العربي الفنزويلي بعدما تم الاتفاق على بناء المسجد .. وأخذ يشرف على تجهيز المستشفى الذي أنشأه السيد عرفان في ضاحية من ضواحي الثعبانية.



مضت عشر سنوات على عودة عرفان لوطنه ومسقط رأسه ، وقام باستثمارات متنوعة ومهمة في البلاد ، وذات يوم وهو نزيل القصر قصر جبل الأعمدة قال لسائقه الخاص وطبيبه اللذين يرافقانه في طائرته الخاصة من كاركاس إلى هذه البلاد عبر مطارات أوروبا : أنا لي ذكريات في هذه البلاد ، ومن أجل ذلك أحب التردد على هذه المدينة فأمكث شهرا أو أكثر .. إن الحنين يدفع بي إلى مسقط رأسي ، رغم أنني لم أر بها يوما جميلا .. منذ وعيت على هذه الدنيا وأنا أرى المشاكل والصراع بين أبي المريض وزوجتيه أمي رحمها الله وضرتها .. ماتت أمي وأنا ابن اثنتي عشرة سنة ، ولما كبرت وأصبحت أملك بعض المال مات والدي ثم أختي الوحيدة ـ ومسح دمعات سالت على خديه ـ لم يبق لي أهل هنا .. وإنما أحب أن أزورها وأنام تحت سمائها .. والله لا أدري بالضبط لماذا ؟! وهمس لنفسه هل أستطيع معرفة مصير إخوتي الظلمة ؟ أو أبناء أمينة ؟ ..أمينة الحبيبة ، ورفع صوته فقال: آ.. أختي أمينة ـ رحمها الله ـ لها أبناء .. نعم ، لها أبناء .. ماتت عند ولادة الابن السادس .. أمينة ما زلت أذكر اسمها.. ما اسم زوجها ؟ قد غاب عن ذهني.. أريد أن أزور أولاد أختي وأتعرف عليهم .. هل يذكرون خالا لهم رحل قبل أربعين سنة ؟ إنني مشغول الفكر بهم منذ حين .. ولكني كرهت الماضي كله.. سيعودون بي للماضي

.. بي حنين وشوق لرؤية أطفال أمينة .. لقد أصبحوا كهولا اليوم ..أريد سائقا من أهل هذه المدينة يمكث معي يوما أو بعض اليوم أبحث عنهم عن حارتهم أو حارتنا.

حاول الطبيب منعه من هذه التحركات بنفسه خوفا على صحته ، فقد زاد تعب القلب منذ أتى المدينة منذ أيام مضت ، آثار الزمن بدأت تظهر عليه ؛ ولكنه عزم وأصر على لقاء أبناء أخته .. فهو يتذكر أن لها ولدا اسمه أحمد ، وبنتا اسمها فريدة ، ولا يذكر أسماء غيرها عندما كان في البلد .. وتردده عليها بعد موت أبيه وقبل موتها ، تكلم السائق الفنزويلي بارباريسكو مع المحامي حميد ، وحدثه برغبة السيد الكبير عرفان رشيدي فقال المحامي قلقا : ألا يخشى على حياته الضعيفة ؟

فقال السائق : الطبيب يحثه على عدم تحقيق هذه الرغبة وأن يقوم بها آخرون.. ونحن خائفون عليه من أعدائه وحساده أيضا.

ـ أتخشون عليه الاغتيال ؟! .. هذا أمر خطير!

فتبسم السائق وقال : لا تخلو حياة رجال الأعمال الكبار من هفوات وأعداء يا سيد حميد.

ـ نطلب حماية البوليس..

ـ لا ، فحراسه معه .. وهو يريد أن ينزل بسيارة عادية عامة .. فنريد سائقا محليا كبيرا في السن له معرفة في المدينة وشوارعها القديمة .. دبر ذلك السائق العتيق.. ولا تخبره بالمهمة المطلوبة نحن نخبره .

استقبل السيد عرفان في قصره ليلا المحامي ، وبرفقته سائق سيارة كهل أمضى جل عمره في العمل على خطوط النقل العام ، وكان المحامي قد شرح له نوع المهمة التي سيقوم بها فرضي بذلك ، وأبدى استعداده لمساعدة السيد عرفان في عملية البحث .. وقد رفض السيد عرفان ذكر أسماء للسائق ، بل أصر على الركوب والنزول معه وزيارة الحي الذي ولد وترعرع فيه قبل ستين سنة .. فانصرف المحامي وقضى السائق ليلته ضيفا على السيد عرفان ، فاستمتع بما في القصر من خيرات ومتع دنيوية ، وسهر مع بعض الحراس العرب ، وسمع منهم ما يعرفونه من

معلومات عن الثري الفنزويلي القاطن على هذا الجبل ، ولما أصبح الصباح ركب عرفان إلى جوار السائق بعدما ذكر له اسم الحي فقال السائق: هذا حي قديم جدا يا سيدي .. لقد قامت الدولة قبل سنوات بعيدة بهدمه وإعادة تنظيمه ، وإقامة حي جديد مكانه .. ولكنني أعرفه كان يركب معهم في السيارة سائق عرفان برباريسكو ، وأحد حرسه الفنزويلي (سيمون توفازي) فقال عرفان بعربية : سر بنا للحي القديم .. لعلي أتذكر اسم زوج أختي.

بعد ساعة من السير في السيارة ، وقف السائق العجوز أمام مدخل شارع مزدوج ، يكاد أن يسع سيارة واحدة فقط في كل اتجاه ، وكان على رأس الشارع محل سوبر ماركت وقال السائق لهم : هذه بداية هذا الحي الذي ما زال يحمل نفس الاسم القديم .. حي البراغمية

هتف عرفان فرحا : البراغمية ! .. حي البراغمية ! .. أذكر أن أكثر عائلات الحي تحمل هذه الاسم .. فمن أجل ذلك سمي الحي باسمهم .. وإن كنا نسميه أحيانا بحارة السعدية.

فقال السائق بنوع من الذهول : قبل أربعين سنة يا سيدي كنت صبيا تلعب وتسكن في هذا الحي!

ابتسم عرفان وقال ساهما : ألعب ! .. نعم ، كنت ألعب قبل موت أمي .. أمي رحمها الله .. نعم أيها الرجل الطيب .. كنت ابن هذه الحارة .. ولكنها تغيرت تغيرت البيوت .. وعُبد شارعها الترابي .. وتغيرت دكاكينها .. والدنيا دول يا بني! .. هنا بدأت الحياة وقسوة العيش عليّ ..الحق أن الدور والمباني مختلفة كثيرا عما أعرف .. ادخل في كل الشارع قبل أن تسأل عن بيت والدي أبي زياد .. كانوا ينادونه أبا زياد .. هذا اسم بيت والدي .. لقد نسيت أسماء الجيران.

قطعت السيارة الشارع حسب رغبة عرفان حتى وصلت منتهاه ، فقال عرفان : الآن اسأل عن بيت أبي زياد الرشيدي.

أوقف السائق أبو خليل السيارة أمام أحد المحلات ، ونزل يسأل عن منزل رجل مات قبل أربعين سنة أو أقل بسنوات ، فرد صاحب الدكان أو الشاب العامل فيها : الرشيدي!.. لا يوجد أحد من آل الرشيدي في هذا الشارع.

وقد كان رجل عجوز يجلس على مقعد مريح في داخل المحل ، فنهض وتقدم نحو باب الدكان وهو يقول : من الذي يسال عن آل الرشيدي ؟!

فتنحنح السائق وقال : مرحبا بك يا عمي الشيخ .. نحن نسأل عن دار الرشيدي أبي زياد يا عم .. هل أنت من السكان القدماء في هذه الحارة ؟

فقال الرجل : أجل ، يا ابني .. ولدت هنا وكبرت هنا وقد أموت هنا .. وأنا لما سمعتك تسأل عن أبي زياد الرشيدي عادت بي السنون والذكريات.. لقد كانت هنا أسرة من دار الرشيدي يا سيدي.

ـ أخوك أبو خليل صاحب هذه السيارة يا عم .. ثم أشار أبو خليل للسيد عرفان الجالس في السيارة وقال : معي رجل غريب .. ضيف على البلد يسأل عن أبي زياد الرشيدي في هذه الحارة وهذا الشارع بالذات.

فردد العجوز : ضيف .. أهلا وسهلا ولكن الرشيدي الذي تسأل عنه قد مات منذ عهد بعيد.. ولولا أحفاده لنسيت آل الرشيدي .. فقد خلع ورحل أولاده وبناته من الحي قبل موته بسنوات.

فقال السائق : صح .. هو أيضا يقول أن الرجل قد مات ، ولكن لهذا الرجل الرشيدي ابنة تدعى أمينة وتنادى بأم أحمد.

فقال العجوز بفرح : نعم ، نعم .. أم أحمد ..هم فقط من بقايا أحفاد الرشيدي من جهة ابنته أمينة مازالوا يقطنون في هذا الحي .. إنها امرأة فاضلة أتريدونها ؟

ـ بالتأكيد نريدها.. فالضيف الغريب قريب لها .. هو يريد أولادها ؛ لأنه كما قيل له بأنها ماتت هي الأخرى .

بهت العجوز وقالت : ماتت! ومتى ماتت أم أحمد ؟! منذ يومين رأيتها .. أمينة بنت ناصر الرشيدي ماتت .. أمينة ماتت لم نسمع بذلك.

توكأ الرجل على عكازه وتبع أبا خليل نحو السيارة ، وكان أبو خليل قد سبقه يشرح الموقف

للسيد عرفان الذي اضطرب وتغير لون وجهه ودقات قلبه حتى خاف السائق والحارس عليه وكان عرفان قد وضع يده على قلبه وقال : لا تخافوا .. إنني أخشى من مفاجأة !.. فأبو خليل أتانا بكلام غريب من هذا الرجل.

تقدم الرجل الكبير في السن وصافح السيد عرفان ، وهو يقول باستغراب : من قال لك أيها الرجل أن أم أحمد ماتت ؟! .. نحن جيران ولم نسمع بذلك.

فقال عرفان وهو في حالة اضطراب : علمنا بذلك يا سيدي .. علمنا بموتها منذ عهد بعيد!

فقال الرجل : إنها لم تمت الذي مات بعلها .. ولم يمت من عهد وزمن بعيد إنما مات من سنوات قليلة .. من أنتم ؟!

فقال عرفان : دلنا على بيتها .. ونحن لك من الشاكرين .. فأنا صديق أخ لها من بلد في أمريكا اسمها فنزويلا.

فقال الرجل : سمعنا بهذا البلد .. فنزويلا .. أخوها عرفان .. لقد قيل لنا أنه قد مات منذ أربعين أو خمسين سنة.

ردد عرفان دهشا : مات !! ومن قال لكم ذلك ؟

فقال العجوز : ستعرف ذلك منها .. أنا صديق والدها ووالد زوجها الحاج أحمد حماضي.

هتف عرفان كأنه تذكر فقال : أجل أيها الرجل الطيب ! .. آل حماضي وزوجها اسمه داود حماضي.

فقال الرجل : صدقت ..هل أنت قادم من طرف أولاد عرفان.. لابد أنه تزوج بعدما طلق ابنة خالد سنارة ؟

فقال عرفان : اصعد أيها الرجل الطيب ، وخذنا إلى بيتها ، وستعرف من نحن عندما نراها.

فركب الرجل بجوار الرجلين الحارس والسائق ، وساروا حسب إرشادات الرجل حتى وصلوا إلى عمارة مكونة من عدة طوابق ، وأمرهم بالوقوف أمامها وهو يقول : هذا العمارة لهم .. دعني أطرق الباب عليها.

فقال عرفان وقد بلع بعض حبات الدواء : افعل أيها الشيخ الطيب.

قام أبو خليل بفتح الباب له فنزل رويدا رويدا من السيارة ، وتقدم نحو مدخل العمارة وضغط على الجرس وهو يتمتم : أرجو أن تكون في البيت.

وسمعوا صوتا يقول بواسطة جهاز هاتف الباب : من ؟

فقال الرجل : أم أحمد .. هل هي موجودة .. أنا أبو سالم عمكم أبو سالم ؟

فقال الصوت : تفضل بالدخول يا أبا سالم.

فرد : لا أريد الدخول أين أمكم ؟

الصوت : إنها غير موجوده الآن هل تحب أن نبلغها شيئا ما ؟

قال أبو سالم : يا ابني هنا رجل غريب من فنزويلا صديق لخالكم الميت عرفان الرشيدي هو الذي يريدكم ويسأل عن أمكم.

فقال الصوت : انتظر يا أبا سالم.

بعد لحظات أقبل شابان صغيران فسلما على أبي سالم ورجال السيارة وهم في حيرة فقال أحدهم : ما الأمر ؟!

فقال أبو خليل : هذا الرجل غريب ، ويسأل عن أمكم أم أحمد ، أين هي ؟ وهو قادم من فنزويلا.

فقال أحدهم وهو ينظر للرجل باستغراب : أنا ابنها وهذا حفيدها.

فصافحهم عرفان وقال : أين أمكم أو جدتكم ؟

ـ خرجت في حاجة و..

ـ متى تأتي ؟

ـ لا ندري .. هل من شيء ؟!

قال : لا تقلقوا .. سيمر عليكم هذا الرجل ـ أبو خليل ـ فأرجو أن تأتوا معه بها وبكم فأنا صديق لخالكم عرفان ناصر.

فقال الابن : عرفان ـ رحمه الله ـ ما الذي أتى على ذكره هذه الأيام ؟

ـ عندما تأتون سوف تعرفون .. وإذا لم تأتوا انتظروني غدا صباحا سأمر عليكم سلموا على أمكم كثير السلام .. وأنا في انتظاركم مساء.

وودع عرفان الرجل العجوز أبا سالم ، وعادوا للقصر والأفكار تلعب بعرفان والسؤال الذي يتردد على عقله وقلبه : من الذي أرسل له بخبر موتها وأخبرها بموته ؟! .. هذا لغز يحتاج لحل وكشف.



ظهور عرفان

لما علمت أم أحمد العجوز التي قفزت عن الستين عاما بزيارة الزائر الغريب القادم من فنزويلا من طرف أخيها عرفان استغربت ذلك واحتارت .. ما الذي ذكر هذا الغريب بهم بعد هذه العقود الأربعة ؟! .. فاتصلت بابنها الدكتور أحمد وابنتها الطبيبة فريدة وجمعت أفراد الأسرة لمناقشة ذلك ، فلقد أنجبت هذه المرأة سبعة أنفار بين ذكور وإناث ، وأصغر أولادها الشاب الذي التقى بالسيد عرفان وهو طالب بالجامعة ، وكذلك ابن أخيه أحمد ، فلما اجتمع الأبناء وسمعوا قصة الرجل القادم من وراء البحار يسأل عن أمهم شرقوا وغربوا حتى قال أحمد : عندما يأتي أبو خليل سنعرف المزيد عن هذا الزائر الغريب .. فخالنا منذ وعينا على الدنيا .. ونحن نعلم بأنه مات في حادث في بلاد الغربة في أمريكا اللاتينية وانقطعت أخباره .. فمن هو هذا الرجل الذي يعرفه ؟! أتظنون أن له أبناء تذكروننا الآن .. ربما ؟!

ولما اقترب الغروب كانوا على أحر من الجمر في انتظار السائق أبي خليل ، وجاء أبو خليل مع الغروب فما كاد يضغط الجرس حتى كان الدكتور أحمد يستقبله ويرحب به ويدعوه للدخول لشرب الشاي أو القهوة ، فاعتذر الرجل وبين لهم لهفة الرجل على لقائهم ، فقال له الطبيب : يا أبا خليل .. ماذا يريد هذا الأجنبي من أمنا ؟!

ـ لا شيء .. سوى التعارف ، وهو في انتظاركم ، واطمئنوا فهو رجل فنزويلي .. رجل عظيم وثري ، وله قصر هائل على قمة جبل الأعمدة .. فلا تقلقوا من جهالته فهو معروف على مستوى كبارات ورجال البلد .. هيا المهم أمكم .. هو يريد الوالدة على الأخص.

ـ الأمر مربك وغريب يا أبا خليل !

ـ بل سار لكم ، وهو مشتاق لكم ، وستسرون من لقائه فهو رجل محترم وكريم.

فصعد الدكتور وتحدث مع الأسرة ، فنزلت الأم والأخوة الذكور ، فركب الدكتور أحمد بجانب أبي خليل ، وأمه وأحد الأخوة في المقعد الخلفي ، وركب أخوان في سيارة الدكتور أحمد ، وانطلقت السيارتان نحو قصر الفنزويلي الكائن على جبل الأعمدة ، وبعد مسير استغرق ساعة

أشرف القوم على بوابة القصر الضخمة ، ولما رأى الحارس أبا خليل السائق، فتح لهم الباب ، فدخلوا القصر وأغلق ورائهم الباب .. كانت أمينة متوترة ويكاد قلبها يقفز من صدرها ، وبعد دقائق كانت السيارتان تقفان أمام درجات من الرخام في مدخل القصر .. وكان السيد عرفان يجلس على مقعد على بسطة في أعلى الدرجات ، وحوله رجاله ، فلما فتحت السيارة ونزل أبو خليل يفتح لهم الباب ، وقف عرفان يراقب النازلين .. وعلى ضوء الفوانيس الساحرة شاهد عرفان أخته أمينة حية التي كان يعيش كل هذه السنوات على أنها ميتة .. وأمينة لما رأت عرفان ازداد خفقان قلبها .. واضطربت ساقاها .. فأمسك بها أحمد وآخر ، والتقى الأخوان على منتصف الدرج وهتف عرفان مضطربا: أختي أمينة!

هتفت أمينة : أخي عرفان!

وتعانق الأخوان عناق الأحبة والذهول ، وعرفان يهمس : أخبروني أنك مت أثناء الولادة !

ـ أخبروني أنك مت بحادث سير ودفنت هناك!

وتقدم الشباب يصافحون خالهم ويعانقونه ويلتزمونه ، وهم يذرفون الدموع مثلهم ، وهم في حيرة واستغراب من هذا اللقاء ، وتقدموا إلى إحدى قاعات القصر ذات الأثاث والفراش الوثير والمزينة بالزخارف والأنوار المثيرة والجميلة ، وجلسوا فيها ، وقص عرفان مختصر حياته على أخته والبرقية التي أتته فيها نعيها ، ثم غرقه في حياة المجتمع الفنزويلي ثم قال : لي عشر سنوات أتردد على هذا القصر وعلى هذا البلد .. وأنا أعتقد أن أمينة ميتة وفقدتها كما فقدت أمي وأبي .. لم أسأل عن أحد ؛ إنما أحيانا أخطف نفسي وأزور قبر أمي وأبي .. نسيت إخوتي وأخواتي من زوجة أبي أم زياد .. حتى وقع في نفسي لقاء أولاد أمينة بعد كل هذه السنين .. كنت لا أريد أن أرجع للماضي .. وهو الذي دفعني لبناء هذا القصر .. الحنين للبلد يا أمينة.

وأمضى الأخوة ساعات طويلة بالحديث والذكريات ، وسر عرفان من كفاح أخته في تعليم أبنائها ، وعزاها في زوجها داود عندما جاء ذكره ، وفرح وسر من أولاد أمينة الأربعة ـ أحمد وسعيد ومحمود وخضر ـ وتمنى رؤية البنات ـ فريدة وسعيدة وسعدية ـ والأحفاد ، ولما أراد

الأولاد الانصراف أصر على بقاء أخته معه هذه الليلة ، فوافق الأولاد على تحقيق رغبة خالهم ، وانصرفوا وهم مسرورون لمقابلة الذي كانت أمهم تحدثهم عن صبره وجهاده مع أبيه .. فقد ترك المدرسة واشتغل بائعا في مواقف ومحطات السيارات والباصات والحافلات لتوفير المال لشراء الدواء والمصروف للأسرة ، ثم عمله خادما في الفندق ، ثم رحيله إلى كاركاس ، ثم انقطاع أخباره بعد زواجه من مجدية ابنة الحي وطلاقها.

ولما أصبح النهار كان الأولاد السبعة وأزواجهم في قصر الفنزويلي يتعرفون على خالهم وجدهم ويتناولون الإفطار على مائدته ، وكان عرفان قد طلب من سكرتيره ارباس بتحويل مائه ألف دولار ووضعها في حساب لأخته أمينة، واتصل بالمحامي حميد وكلفه بشراء فيلا كبيرة في حي حديث الإنشاء بأي ثمن وبأسرع وقت ، وهو يقول لأمينة : أنا أعرف أن المال لا يعوض السنوات التي ابتعدنا بها عن بعض ؛ ولكن هذا أقل القليل أقدمه لأختي الحبيبة.

وغمر الفرح عرفان وهو يلتقي بأسرة أخته البنات والأولاد والزوجات والأزواج ، وقدم للجميع الهدايا الذهبية ، وطلب منهم أن يسمحوا ببقاء أمهم عنده حتى ينصرف لفنزويلا ، فميعاد سفره قد اقترب ، وقبل سفره بيومين جاءت امرأة تطلب مقابلة السيد عرفان ، وكان برفقتها رجل فاعتذر عرفان عن مقابلتهم، وأن وضعه الصحي لا يسمح له بذلك ؛ ولكن الحارس أخبره أن المرأة تدعي أنها كانت زوجته قديما .. فلما سمع ذلك تذكر مجدية سنارة .. الزوجة التي عاشت معه سنة واحدة ، فأذن لها عرفان بخمس دقائق ، وأدخلها أحد الحرس إلى غرفة أشار إليها عرفان ، ولما دخل عليها وجدها تتفرج على مناظر معلقة على الجدران ، فلما سمعت صوته استدارت إليه وقالت : والله يا عرفان .. كل هذا الغنى غارق فيه ..! هذا ابني.

وأشارت إلى رجل متهالك على أحد الكراسي ، مبعثر الشعر ، ساهم العين، رث الثياب ، والذي لم يهتم بدخول عرفان ولم ينهض للسلام عليه ، فنظر إليه عرفان ممتعضا ثم قال : أهلا آ.. يا مجدية .. ماذا تريدين من طليقك القديم؟! .. ألم تكرهيني على الطلاق يا ابنة الناس؟

فردت قائلة : بلى .. كانت الحياة هناك كالجحيم .. أو الجحيم نفسه.

فقال متهكما : الحياة هكذا تكون بدون الحبيب ! .. ماذا تريدين ؟

فقالت محاولة الحزن : مات الحبيب وترك ثلاث بنات ، وتزوجت آخر وطلقني ، ثم تزوجت رجلا كبيرا ومريضا ، وأنا على ذمته الآن.

عاد عرفان المتحفز للانصراف يسأل : ماذا تريدين مني ؟

فقالت : أترى هذا الشاب الجالس ؟

فقال : نعم ، قد رأيته .. يبدو أنه أحمق مثلك.

فقالت بقوة : إنه ابنك .. ومن صلبك.

قهقهة عرفان وقال : أعتقد أن الخمس دقائق انتهت.

وضغط على زر فدخل الحارس فقال له : اصرفها .. ودع ارباس يدفع لهذه المرأة ألف دولار لأنها كانت على ذمتي في يوم ما .. مع ألف سلامة.

فصاحت : لا تعجل يا عرفان .. والله العظيم إنه ابنك!

فصرخ بها : ابني !.. من أين أتى هذا الابن ؟! .. اخرجي.

وخرج ولم يحب أن يسمع التفاصيل ، فقادها الحارس حيث السكرتير الذي أعطاها شيكا بألف دولار ، فرمته في وجهه وانصرفت هي وولدها ، وكانت قد تركت في غرفة الاجتماع مظروفا ذكرت فيه قصة هذا الابن.

فلما عرف عرفان بالمظروف الذي تركته أخذه وقرأه وكان فيه ، أنها اكتشفت بعدما عادت للوطن بأنها حامل ؛ ولكن لحبها الشديد لجاسم تظاهرت بأنها غير حامل ، ولما انتهت شهور العدة الثلاثة تزوجت على أنها غير حامل ، ولا يعلم بذلك إلا هي وجاسم ، وقد وافق جاسم على أن يحمل الطفل اسمه ، وهذا ما كان ، ولما انتشر وشاع خبر موت عرفان نسيت أنك أبوه ومضت الأيام تحمل هذه الأسرار حتى علمنا بحياتك ، فكان يجب أن تعرف الحقيقة.

قرأ عرفان هذه الرسالة ، فاحتار بما فيها من أخبار وإعلام وصحة المعلومات الموجودة فيها ، فهو يعلم أن زوجته كانت غير راغبة بالحمل منه.. فكيف حملت ؟! ولم يطل التفكير فهو على

موعد سفر ، ولما أتت أخته في المساء مع أولادها ليودعوه ـ فقد كانت خرجت أمينة لقضاء أمر ـ فخلا بها عرفان وحدثها بزيارة مجدية وقصة الولد ، ورفضها المساعدة فاستغربت أمينة هذه الأخبار ، وإن لم تنكر أن مجدية وضعت مولودها الأول ، كما سمعت وسمع الناس قبل إكمال الشهور التسعة للحمل ، وأثار ذلك حولها لغط الناس وإشاعاتهم.

فرحل عرفان لفنزويلا وهو يحمل هذا الهم الجديد والغريب، وكيف سيتأكد من هذه البنوة ؟! ولعن الساعة التي تزوج بها تلك المرأة الشيطانة ، فلما دخل القصر الذي يقطنه في منطقة لا لاجوتيينا حيث القصور والفيلات الضخمة التي تتجلى فيها أشكال المعمار الحديث، وتقف على حافة منحدر جبلي لتشرف على المدينة كلها ، دخل عرفان القصر وهو مشغول العقل والفكر والفؤاد بما سمع وقرأ عن بنوة شاهر ، فكان يقول لنفسه: لم يتكلم الولد أثناء الكلام لزم الصمت .. وهيئته تدل على بؤسه وتعاسته .. لزم الصمت لماذا؟! حتى عندما طردهم الحارس ظل صامتا .. هل يمثل دورا ما أم هو مثلي غير مصدق بأنه من صلبي؟! .. لذا لزم السكوت ليرى رد الفعل لديّ.

وبعد أن اطمئن على الأعمال والشركات التي يديرها أولاده العشر المنتشرين في كاركاس وغيرها من المدن المهمة في البلاد كـ ماراكايبو ، وجرمانا ، وكولونيا توفاز، وميريدا ، اتصل بصديق له منذ البدايات الأولى في هذه المدينة، وحدثه بذلك السر العجيب ، ولما استـفسر الصديق عن سبب صبرها كل هذه السنين على الكتمان ، فقال عرفان : الحياة كلها غرائب !.. لقد أشيع عني قديما أنني مت منذ السنوات الأولى لي في هذه البلاد ، ولما عرفت بحياتي في الزيارة الأخيرة لي للبلد .. أتت واعترفت لي بذلك الحمل وبتلك الجريمة .. وحتى لو عملنا فحوصات الدم وفصائل الدم والجينات سيبقى الريب في نفسي .. هذه سنوات طوال أربعين سنة .. قتلتني قتلها الله ! .. هذه الحقيقة لا يعرفها إلا هي وزوجها .. وهي تقول أن زوجها قد مات .. وأكدت لي أختي ذلك .. أختي التي وجدتها بعد أربعين سنة .. فقد أكدت لي ترملها من السيد جاسم .. فما العمل ؟!

فقال الصديق القديم الدكتور سيرجي باربوسا : لو تمت فحوصات معينة قد تتبين الحقيقة من زمر الدم والجينات ؛ ولكن يبقى الريب والشك في النفس لأن نصف جينات الولد من الأم .. والزوج الذي رضي بإعطاء اسمه لحمل عشيقته فقد هلك ، وكلام الزوجة وحده غير مطمئن.. فلديّ فكرة ! فعليك أيها الصديق الكبير بالاستعانة بمكتب تحريات بوليسية خاص ليجمع لك أكبر كمية من المعلومات عنها ، ومن اليوم الذي طلقتها فيه ، وعن أسرتها وأحوال البيت وعلاقة الأب الميت بالابن شاهر ، وموقف أهلها من ولادتها المبكرة .. وهل كانت علاقة شاهر بأبيه جاسم علاقة حميمة أم علاقة سيئة تدل على التنافر والصراع ؟ .. دراسة لحياة الأسرة والبنات والزوج الثاني والثالث .. لعلنا من سيرة حياتهم الوالد والأم نصل إلى شيء .. هذا حل .. وهناك حل آخر يا عرفان أن تعرض عليها مبلغا مغريا من المال لتقول الحقيقة .. فإغراء المال قد يساعد أيضا في معرفة الصدق .. ويمكنك الإتيان بالولد هنا وسماع أقواله فلابد أنه يعلم شيئا من ماضي أمه.

بعدما استمع عرفان لكل أفكار صديقه الدكتور سيرجي قال : سأكتب لصديقنا المحامي حميد رسالة ليكلف مكتب تحريات خاصة بهذه القضية .. ويحاول تسفير شاهر فيما بعد إلى هنا وبعد لقائنا بشاهر سنعرض المال على تلك الآثمة .. تلك المجرمة .. لم تصبر عن عشيقها حتى تضع الحمل .. تزوجت متظاهرة بأنها بريئة الرحم .. صدق يا صديقي لولا كلام أختي أمينة عن الإشاعات التي رافقت حملها وولادتها حول المولود الأول لمجدية لما فكرت بكل ذلك .. فهي التي حرمتني من البنوة والأبوة .. مكثت عندي سنة وهي تصر على رفض الحمل .. لولا تلك الإشاعات لما اهتممت بكلامها إلى آخر العمر ؛ ولكن قد قيل إنه ابني.

كتب عرفان رسالة مفصلة للمحامي حميد ، الذي دهش لمطالب عرفان، واستغرب من تلك القصة ، ولما جلس مع الدكتور أحمد وسمع منه قصة زواج عرفان من مجدية خالد جارة العائلة فهم اللغز والإشكال ، والتقى المحامي حميد نفسه بمجدية ، وأخذ منها بعض المعلومات الأولية ثم زار مكتب تحريات خاصة يديره المفتش الشرطي المتقاعد حمزات عالبوه ، فشرح له القضية

المطلوب جمع المعلومات عنها ، فوافق المكتب على القيام بهذه القضية بعدما اطلع على المعلومات والأشخاص المطلوب التحري عنهم ، وقال المحامي : خلال شهر يا سيدي أريد أن يكون بين يدي ملف مفصل عن هؤلاء الأشخاص.

ولما اتفقا على الأتعاب ، وقع المحامي على العقد ، ودفع مبلغا مقدما ، وانصرف شاكرا لمكتب التحري تعاونه واستعداده لجمع المعلومات المطلوبة.



تقرير المكتب الخاص

كان عرفان ناصر ينتظر تقرير مؤسسة التحري في الثعبانية حول الأشخاص الثلاثة مجدية وشاهر وجاسم ، لذلك لما اتصل به المحامي وأخبره أن التقرير في الطريق إليه بواسطة البريد فزاد توتره وترقبه ، وكان كل من يراه يدرك أنه في قلق واضح حتى أن أولاده في حيرة من أمره فهم لم يطلعوا على المشكلة التي يعاني منها منذ عاد لقصره في فنزويلا ، وقد عجبوا من كثرة سؤاله عن البريد القادم من وطنه الأول ومسقط رأسه ، وقد حاول بعضهم الحديث معه في الموضوع ، فصدهم وطلب منهم عدم الانشغال به ، وعليهم الاهتمام بمصانعهم وشركاتهم ، ولما أتى التقرير وفض مغلفه ـ كان يجلس في مكتبه الخاص داخل القصر ـ طلب من الخادم عدم إدخال أي مخلوق عليه ، وأغلق خطوط الهاتف ، وأخذ يقرأ ما جاء في تقرير شركة التحريات الخاصة فوجد : السيدة مجدية سنارة كانت قبل زواجها من ابن الجيران المهاجر عرفان الرشيدي على علاقة عاطفية قوية مع الشاب جاسم سرور بزة ، وكان ذلك في نظر أهلها حب مراهقين ، فلم يكترثوا له ، وإن حاول بعض إخوتها وقف هذا الحب بالشجار مع الشاب جاسم ، وأحيانا بإهانة الفتاة ، لكن الحب المزعوم استمر بين الشابين ، ولما تقدمت أخت السيد عرفان ـ السيدة الفاضلة أمينة ـ لطلب يد الفتاة لأخيها عرفان من والدي مجدية رحبوا بذلك ، رغم رفض الفتاة الزواج ، وقد علمنا ممن عاصر هذه الأحداث ، كأمها وبعض إخوتها أنهم أمام إغراء المال والسعادة المنتظرة ضغطوا كثيرا على البنت للموافقة على هذا الزواج ، بل هدد أحد الأولاد بقتل جاسم أو المكر به إن لم تتزوج السيد عرفان ، وأمام الضغط وضعف المقاومة من الفتاة ، وعدم استطاعة الشاب جاسم على الاقتران بها يومئذ استسلمت الفتاة للزواج من رجل لا تحبه .. سافرت معه إلى فنزويلا حيث هاجر السيد عرفان ناصر للعمل منذ سنوات ، وقد فوجئ الأهل بعد سنة بعودة ابنتهم من هناك ، وهي تحمل ورقة الطلاق بيديها ومؤخر صداقها وزيادة ، وقد علمنا أن الفتاة أثناء غربتها كانت على اتصال بواسطة الرسائل والخطابات مع عشيقها وحبيبها جاسم ، وحاولنا الحصول على بعض الخطابات ، ولم يتيسر

ذلك لضياعها وعدم الاهتمام بها ، ولما عادت البنت للوطن ، وقد فشلت في الزواج ، ولم تنجب من زوجها كما بدا لهم آنئذ ، فنقمت عليها الأسرة ، ولما تقدم الشاب جاسم للزواج منها حسب ما اتفقت البنت والشاب لم يعترض أحد من أهلها ، بل فرحوا بالخلاص منها ، فما كادت تمضي الشهور الثلاثة أو القروء الثلاثة من يوم الطلاق حتى كانت الفتاة تنتقل لبيت جاسم سرور، ويغادران الحي إلى حي مجاور ، وكان أهلها منذ تلك الأيام يحتقرونها ، ولا يهتمون بشأنها، ولا ينظرون إليها بعين الشفقة والرحم ، وهي بادلتهم نفس الشعور والتحدي.. وفعلا عندما وضعت مولودها الأول سرت في محيط الأسرة والحي القديم إشاعات وهمهمات بأنها حملت قبل عقد الزواج من جاسم ، وأنها استسلمت لعشيقها قبل ليلة الزفاف ، ولكن الفتاة تنفي ذلك ، وتنفي عن نفسها الزنا والفاحشة قبل زواجها من جاسم وبعده ، ووضعت المولود شاهرا في تاريخ ٢٤ فبراير سنة ١٩٥٣ م في مستشفى (حليمة النهدي) ، وهذا المستشفى القديم قد أغلق بسبب وفاة مالكه ، ثم باعه الورثة لطبيب آخر ، ثم تم نقله من مكانه القديم ، ولم نتمكن من الوصول إلى الملفات القديمة لتلفها وهلاكها وضياع أكثرها وعدم اهتمام الإدارات المتعاقبة على حفظها ومن ثم انتقال المستشفى إلى بناء آخر.

والشاب شاهر لم تكن علاقته بوالده جاسم علاقة حميمة ، وكما علمنا أن والده لم يكن قاسيا عليه ، بل كان تاركا له الحرية في الأعمال والتصرفات ، بل لم يهتم به عندما تعلق بالشراب واللهو والميسر، فقد تركه على حريته الكاملة؛ ولكنه كان يتضايق منه عندما يتشاجر مع أولاد الجيران والناس ويقاد لمركز ومخفر البوليس ، ولا يسعى لمساعدته في محنه .. وقد سجن شاهر أكثر من مرة ، ولم يفكر جاسم بزيارته يوما ما في سجنه ..وهذا الفعل فعلته أمه مجدية أيضا .. فشب الشاب ولم يحسن التعلم في المدرسة.. فقد تركها مبكرا ، ولم يسلك في الأعمال والحرف التي وجّه إليها ، بل كان عبئا على والدته .. وكانت إحدى أخواته تنفق وتصرف عليه عندما كبرت واشتغلت ، وذلك بعدما تخرجت من الجامعة .. ورغم اقتراب الشاب من الأربعين سنة فما زال أعزبا .. ورغم وفاة والده مبكرا ، لم يحاول تحمل أعباء الأسرة ، وظل على ما نشأ عليه ..

ثم تزوجت أمه بعد وفاة زوجها بسنة من صاحب لزوجها ، ثم طلقها بعد سنين ، وهي الآن زوجة لرجل كبير في السن ، وما زالت عنده لليوم .. وقد زوجت بناتها الثلاث اللواتي ولدتهم من زوجها جاسم سرور، والشاب شاهر بعد زواج أمه من صاحب أبيه استولى وسكن في بيت والده جاسم الذي اشتراه بعد زواجه من السيدة مجدية .. وقيل إنه من أموال زوجها المهاجر ، ولا أحد من أصدقاء جاسم سمعه يتحدث في أي يوم على أن شاهرا ليس ولده ، وليس من صلبه ، ولا حتى مجدية ، لم يصدف أنها حدثت أحدا على أن شاهرا ليس ابن زوجها جاسم ، فالكل يعرف أنه ابنه وإن أثيرت شائعات عند ولادته ؛ لأنه ولد قبل إكمال الشهور التسعة أو حتى السبعة .. فالأمر غامض .. والأم مجدية تصر على أنها أتت من أمريكا حاملا ، ولم تكتشف ذلك الحمل إلا عندما وصلت البلد وبعد حين ، والتقت بحبيبها جاسم واتفقوا على الزواج .. فقامت بعمل فحص الكشف عن الحمل بسبب انقطاع الطمث فتبين لها الحمل، وخشيت إن تأخر الزواج من جاسم لما بعد الولادة أن يزوجها أهلها لرجل أحسن حالا منه ، فوالدها وأهلها ممن يعشقون المال عشقا غريبا مع شح كبير ، وتقول مبررة أيضا إنها لم تكشف سر الحمل آنذاك حتى لا يفكر أهلها بإعادتها لزوجها المهاجر .. تقول إنها كانت تفكر يومئذ بعقلية المراهقة ، ولا ترى في الدنيا إلا جاسرا .. الحب وبس ! وهي تعترف بخطئها الكبير ولكنها تتدعي : أن الظروف التي أحاطت بها في ذلك الزمان جعلتها تتصرف بحمق وغباء وكان لتعلق جاسم بها وموافقته العاجلة على أن يحمل المولود اسمه أن أخفت قضية الحمل عن الجميع ، بل تقول إنها كانت تخشى أن تحدث نفسها بحقيقة الحمل ، وكان الحديث عن ذلك بعد زواجهما جريمة تدمرهما ، وتقول أيضا إن الذي ساعد فيما بعد على إخفاء هذه القضية انتشار خبر موت السيد عرفان في بلاد المهجر فكان من العبث الحديث بذلك السر ، فليس لعرفان أم أو أب يهمه أمر الطفل ، ولما علمت بحياة عرفان زوجها الأول ، وعرفت بغناه وثروته أحبت أن لا يحرم ولده منهما من ثروة أبيه وماله الكثير.. فاضطرت للاعتراف لولدها شاهر بحكاية زواجها الأول ، وحثته على الذهاب معها إلى رؤية ومقابلة والده .. فذهب بعد مجاهدة

وشجار، وكما قال لرجالنا إنه لم يكن ليصدق ادعاء أمه بذلك .. فلم يسمعها يوما ما تحدثه عن أبيه الحقيقي كما تدعي ، بل لم يكن يعرف أنها متزوجة رجلا قبل أبيه جاسم .. فهو يرى أن ذلك لو كان صحيحا ، فهي قد ارتكبت في حقه أعظم جريمة في التاريخ والعالم ويقول : رغم أنني لم ألمس منها الحنان والحب المنشود قديما وحديثا .. فأنا لا أحبها أيضا الحب المطلوب مني .. بل أرى أنها سبب دمار حياتي .. لم تحسن تربيتي صغيرا ، ومع ذلك لا أنكر أنها لم تكن جبارة أو جلادة أو قاسية عليّ تركتني على راحتي ، بل كان اهتمامها بأخواتي الثلاث أكثر مني رغم أنني ذكر وهن بنات .. ورغم كل هذا كانت هي أمي وكان جاسم أبي .. وقال كانت مفاجأة مؤلمة لي تلك الحقيقة ، ولا أعتقد أنها حقيقة هي تريد المال .. مع أنني أعرف أنها لا تحب المال كثيرا إنها تريد الحب والغرام ويقول شاهر بأنه قابل الرجل الذي ادعت أنه والده الحقيقي .. فلم يحس ويشعر بحنان أو لهفة إليه.. كان لقاء باردا ، ويرى أنه ذهب معها ورافقها من باب الفضول وهو يعلل ذلك فيقول قد يكون ذلك بسبب الإهمال في تربيتي الأولى أو تركيبتي الخلقية ويقول عن عدم دفء العلاقة بينه وبين والديه الإهمال الكبير الذي لقيته منهما وعدم مراعاتهما لحياتي وخصوصا في السنوات التي قضيتها في السجن .. لم يقوما بزيارتي ولو مرة واحدة ؛ كأني مقطوع من شجرة ، فلم يحاول اللعينان زيارتي ، كانا غير مكترثين ؛ ولكنني لما أطلب منهما المال والشراب كانا يمنحانني ذلك .. ويقول إنه بدأ السكر والدخان وغير ذلك من الموبقات مبكرا من حياته ويقول استسلمت لحياة الإهمال والبلاهة حتى لم أسمعهما يوما يتحدثان عن زواجي والنساء ، لا اهتمام بحياتي الخاصة .. أفعل كل ما يطيب لي ويحلو لي.

وكان في التقرير معلومات تفصيلية عن عمل جاسم وأهله ، وإخوة مجدية وأخواتها .. ومعلومات عن البنات الثلاث اللواتي ولدتهن مجدية من زوجها جاسم وأعمالهن ودراستهن وحتى أزواجهن ، وعن زواج مجدية الثاني ، ثم طلاقها ، ثم زواجها من الرجل العجوز المريض وظروف كل زواج.

ولما انتهى من القراءة علق عرفان في النهاية قائلا : لم نصل إلى حقيقة رغم الجهود المبذولة في

جمع هذه المعلومات !.. فشاهر عرف المعلومة والحقيقة حديثا .. والأم كشفت واعترفت بسرها حديثا عندما علمت بوجودي حيا وحديثا أيضا.. ولكن أثناء الوضع حدثت بلبلة وأقاويل .. لم يهتم بها أحد آنذاك فهذه نقطة مثيرة ومهمة .. ولكن الحقيقة الأصح أنه ليس ابني

ويفكر رويدا ثم يعود ليقول : ولكن قد يكون ولدي من صلبي .. وللحجج والأسباب التي ذكرت في التقرير شيء من الصحة .. لابد من الاستفادة من خبرات الأطباء والتحاليل الوراثية والجينات

ثم تنهد تنهدا عميقا وهمس قائلا : ولكن الشك سيظل يراودني .. سأعرض عليها المال حتى تتراجع عن ذلك الاعتراف وأقوالها.. وتؤكد لي أنها ساخرة مازحة كاذبة مجرمة قذرة طامعة بأموالي

اتصل عرفان ناصر بصديقة الدكتور الخبير سيرجي باربوسا ، ولما قدم قرأ عليه تقرير شركة التحري ، وبعدما استمع سيرجي لأفكار وكلمات تقرير شركات التحريات الخاصة قال : قصة موتك هي التي ساعدت على إخفاء سر حمل مطلقتك منك إن كانت صادقة .. فلما اتصل بهم خبر موتك المبكر ازداد تكتمهم لهذا السر.. فالظروف خدمتهم .. مهما كان الزوج مخلصا في الحب والغرام ؛ ولكن بعد الزواج ومشاكل الأزواج المعروفة لابد أن يقع الزوج في خطأ في سب وشتم وغضب ، فيخرج من فيه تصريح بعدم أبوته لشاهر .. وخصوصا قد كان الشاب فاسدا وسكيرا .. وقد يقع بينه وبين أبيه شجار فينكر الرجل أبوته في ساعة غضب .. كل هذا لم يحدث ؛ لأن شاهرا لم يعرف بالسر إلا مؤخرا مثلك تماما.. فالسبب موتك بالنسبة لهم .. أو حدث ولم يهتم به أحد .. حتى شاهر لم يتحدث لهم عن شيء من ذلك فهل أدركت اليوم من أرسل إليك برقية وفاة أختك وأخبرها بموتك ؟

فقال عرفان : فكرت بهذا اللغز كثيرا ! .. ومتابعة برقية أرسلت منذ أربعين سنة تنقص قليلا ليست بالأمر الهين يا صاحبي .. وأختي تذكر أن رجلا ساعي للبريد أو ادعى أنه ساعي البريد كما تعلم هو الذي نقل إليهم البرقية التي فيها خبر موتي بحادث سيارة ، وأمام الصدمة وضعف

الإمكانات المادية أخذوا الأمر بجدية، ولم يفكروا بشخصية الساعي أو مكتب البريد الذي استقبل البرقية ، لم يسيئوا الظن وافترضوا لو أنني ما زلت حيا فسأرسل لهم هدية العيد ؛ ولكن لما أنا في نفس الحين لم أرسل شيئا كالمعتاد زاد يقين موتي لديهم .. وأنا لما تلقيت بنفس الفترة نبأ وفاة أمينة أثناء الولادة ، لم استغرب ذلك لكثرة حدوث ذلك في بلادنا تلك الأيام .. أصابني ذهول وصدقت ما في تلك البرقية ، وكنت في دوامة الشغل والعمل فلم أدقق ، وبعد موت والدي وطلاقي من زوجتي مجدية لم يعد لي ارتباط بمسقط رأسي فنسيت الأمر، وقطعت صلتي بموطني ، وانشغلت في رحلة الكفاح والدراسة يا سيرجي .. وتقول أختي أمينة إنهم انتظروا رسالة تأتيهم من هنا من فنزويلا من أصحاب الشغل فيها تفاصيل عن الوفاة وعن الأموال التي تركتها ، فلم يصل من ذلك شيء فنسوا الأمر مثلي ، واعتقدوا أنني مت ، ولم أترك ورائي مالا أو غيره من الأشياء المادية .. فنسوا كما نسيت كانت مكيدة ماكرة ومحكمة .. والمشتبه به إخوتي من أبي .. أتسأل أحيانا كثيرة لماذا لم أحاول التأكد يومذاك ؟ فلا أجد جوابا إلا أنني كنت ساذجا حسن الظن بكل ما أسمع .. أما من الفاعل ؟ لست أدري، ولكن بعد تفكير وتدبر وصلت أنه لا يهم الآن معرفة من الفاعل لقد أبعدنا عن بعضنا تلك السنوات ونجح.. والماكر كان يقصد أن أقطع وصل أختي بهال ، ولا أظن أنه كان يحلم بأن يمنعني من النزول للوطن الأول لي.

فقال سيرجي : هذا اللغز ساعد كثيرا على إخفاء قصة الحمل .. فجاسم هذا تجاهل كل الأخطار باسم الحب .. فزواجك وطلاقك لها لم يترك لديه أثرا نحوها ، وظل مولعا بها وتورط معها .. وموت السيد عرفان في نظرهم دفعهم إلى النسيان الكامل لأبوتك .. دعني أفكر أيها الصديق بقضيتك الغريبة.

فقال عرفان : فكر بالحل الأمثل يا عزيزي .. سأحدث ولدي الكبير بهذا الموضوع .. وربما أسافر ثانية إلى قصر الجبل ، وأتصل بهذه المنحوسة ، وأسمع منها ..مع أنني لن أسمع أكثر مما ذكر هؤلاء في التقرير الخاص ؛ وربما قد أجد عندها ذرة من الصدق أنتفع بها ، فإن صدقتها

سأقوم بجلب الولد إلى هنا لتقوم بإجراء فحوصات الدم والوراثة.

فقال سيرجى : المشكلة يا صاحبي في زمر الدم والرايزوس تساعد في نفي البنوة ولا تجزم بالبنوة وحدها ..والآن هناك فحوصات البصمة الوراثية والجينات.

فعاد عرفان يقول : أما لغز المحتال الماكر ـ رغم أن البحث عن حل بعد كل هذه الأعوام لن يجدي كثيرا في نظري ــ فربما أكلف المكتب مكتب التحري بمحاولة كشف الفاعل الحاقد .. ولولا برود علاقتي أنا وأمينة مع إخوتنا من أبينا لشككت أن أحدهم فعلها ؛ ولكنهم بعد موت أمي سعادة ـ رحمها الله ـ اختفوا وخرجوا من حياتنا.

انصرف الدكتور سيرجي ، وصعد السيد عرفان ناصر إلى مخدع النوم ، وأخذ حبة منوم ، وبعد حين ذهب في نوم عميق

مجدية والمولود

تفاجأ أولاد عرفان بقرار السفر الذي اتخذه والدهم هذه المرة ، فهو منذ شهرين أتى من الثعبانية، فاعترضوا على سفره ، وأن صحته لا تتحمل ذلك الجهد، والطبيب الخاص تضامن معهم ، فاضطر عرفان أن ينفرد بابنه البكر أو الكبير نصري ، وأسر له بما حدث في رحلته الأخيرة إلى بلده ، فاستـغرب الابن من هذه المعلومات، وهذه التطورات والأحداث ، واستسلم في النهاية لرغبة أبيه في السفر، ولم يحاول مجادلة أبيه بشأن المرأة وكذبها أو صدقها ، بل خرج يخبر إخوته قائلا : إن سفر الوالد ضروري.. وأنه إذا حدث شيء ـ لا سمح الله للأب ـ فسوف أخبركم بما أسر به الوالد.

فتجهم الأبناء قليلا ، ثم عادوا لحياتهم الطبيعية ، فهم يثقون بقدرات والدهم العقلية ، وكذلك بذكاء ونشاط السيد نصري المهندس الكبير ، ولما أشعر ارباس سبرانتو بالسفر المفاجئ ، استغرب واعتذر عن هذه الرحلة لأحوال تمر بها زوجته والأسرة ، فقال له عرفان بعدما شكره : لا حرج عليك أيها الصديق .. فنحن لم نعد إلا من شهرين.. والأمر ضروري فلابد من رحيلي إلى هناك ..ولست ذاهبا بأعمال ، إنما هي قضية خاصة سأحدثك بها لاحقا.. رتب لي إجراءات السفر .. والطبيب والممرضة والسائق والحارس لو كلفت غيرهم أيضا بمرافقتي فذلك خير، فهذا الرحيل تعب عليهم وعلى أسرهم.

وأما الطبيب الخاص أصر على الرحيل معه، وكذلك الممرضة ، والخادم الخاص لويس أحب أن يسافر معهم ، ولما تجهز أمر الرحلة سافر عرفان إلى بلده ثانية ، وكان عرفان كلما يزور بلده في السنوات الأخيرة يمر على مصر، فيقضي بها يومين أو أكثر يستريح فيهما ، ويتذكر أول رحلة له إليها ، ومن ثم يسافر إلى فنزويلا ، وأحيانا يعرج عليها قبل الانتقال للثعبانية.

ولما نزل قصر جبل الأعمدة واستراح من تعب السفر ، واسترد عافيته اتصل بأخته التي هرعت إليه مسرعة وهي متعجبة من عودته السريعة، فطمأنها وحدثها عن سبب رجوعه السريع ؛ بأنه قادم للقاء السيدة مجدية لحل لغز الابن ، وبعد أن فرح بلقاء أولاد أمينة أرسل وراء مجدية ،

وطلبها وحدها ، فأتت للقصر ولما التقت بعرفان رحب بها على غير ما رحب بها في المرة السابقة ثم قال : أنا فكرت بعمق بقصة الابن المنسوب إلى زوجك الميت.. فكيف صارت الحكاية يا مجدية ؟!

فقالت مبتسمة كأنها أحرزت نصرا مهما في معركة : كنت متأكدة أنك ستطلب لقائي وإن تأخر هذا اللقاء.. أنا يا عرفان كما قلت لك قديما تزوجتك عن غير رغبة...

فقطع الكلام قائلا بغضب خفيف : أعرف هذا .. ادخلي في صلب الموضوع فصحتي لا تساعدني كثيرا على الاستماع .. تكلمي بالأهم يا أم شاهر.

ضحكت مجدية لمناداتها بأم شاهر وقالت : والله يا عرفان قليل من الناس من يناديني بأم شاهر غلبت عليهم أن ينادوني بأم سمر .. ابنتي الكبيرة سمر ولا أدري لماذا ؟! .. وهذا ليس له علاقة بابنك وزوجي .. المهم لقد كنت راغبة بالزواج من جاسم ، فرفضت الأسرة ذلك بعناد وزوجوني منك ، وسفروني معك ..وأنا أعرف أنك لا تعرف بحبي لجاسم .. وأنك تظن أنني عاشقة ولهانة لك وأن لعابي سال لمالك وغربتك .. فلم أستطع الحياة معك .. كانت أفكار البنات الصغيرات والرومانسية وكلام الحب والغرام يشغل بالي .. وكانت رسائل جاسم اللعينة تحرق قلبي وجسدي.. فكرهتك وبغضتك .. فصممت على الطلاق والفراق .. فلابد أنك تذكر تمردي من الشهور الأولى، وكرهي لحياة الاغتراب ، وكرهي لحياتك وعملك ، وأن المال والذهب لم يغيرا بي شيئا .. كنت متعطشة للحب .. كنت متأثرة بأفلام السينما.. ولم أجد ذلك عندك كنت زوجا عاديا .. عمل شغل طعام نوم .. تعاطيت حبوب منع الحمل .. لا أريد أن أحمل منك .. أريد العودة إلى حبيب القلب إلى سارق لبي وفؤادي..

كان عرفان يسمع هذه الكلمات وهو يتلمظ من الغيظ والقهر ، ولم يتكلم كان يريدها أن تقول الحقيقة ، فتابعت تقول : كنت أنت متلهفا على الحمل معتـقدا أن الحمل والولادة ربما يدعوانني للكف عن الشكوى وطلب العودة ، ومن ثم الطلاق .. ولكنك يا سيد مللت وزهقت مني .. وفي لحظة صفاء وهدوء وافقت على الانفصال.. وأن الحياة أصبحت معي جحيما لا يطاق ..

فوافقت على طلاقي .. وأنك ستقوم بالإجراءات المناسبة .. وأنا في الشهور الأخيرة التي عشتها معك كنت أنسى كثيرا أخذ حبوب منع الحمل بانتظام .. وكنت غير مكترثة لذلك ، وتم الطلاق وأعطيتني مؤخر الصداق ، وبعض المال والهدايا لأختك وأهلي ، وحجزت لي على إحدى الطائرات .. كل هذا تعلمه أنت.

فقال عرفان متضجرا : أعرف هذا .. الخلاصة يا مجدية الخلاصة!

فصاحت فيه فجأة كانفجار ثم قالت : وصلنا للخلاصة .. أنت تعلم أن من عادات الدين والشريعة أن المرأة تنتظر حتى انتهاء شهور العدة أو الولادة للتزوج ثانية إذا شاءت .. فوالدي وإخوتي استقبلوا عودتي بالضيق والغضب.. ومنهم من أهانني وصفعني .. واتهموني بتخريب بيتي بيدي.. ولما عرفوا بأنني لم أحمل منك تضايقوا أكثر .. وسمعت كلاما مؤلما وقاسيا وشتما وضربا .. وخلال فترة العدة أدركت أنني حامل بسبب انقطاع الدورة الشهرية فقمت بإجراء فحص عند أحد الأطباء في مختبره فأكد لي الحمل .. وحدثت جاسما الذي فرح بطلاقي .. وبدأ يستعد لطلب يدي ليستغل غضب أهلي نحوي .. فحدثته بالحمل الذي حصل على الرغم مني وأنه لا أحد يعرف بذلك من أهلي ، وأن أهلي لو عرفوا بحملي من عرفان سيحاولون إعادتي إليه ، ولن يزوجوني منه.. فكان الحل في نظرنا عدم إظهار الحمل ، وأن نتزوج بعد مضي الشهور الثلاثة للعدة ، وذلك بعد أن وافق جاسم على أن يحمل المولود اسمه .. وللظروف المحيطة بنا وحاجتنا لبعض لم نخبر أحدا بالحمل ، وعلى الفور تقدم لي جاسم وللخلاص مني وافق إخوتي على زواجنا بسرعة ، فهم يعرفون قصة حبنا وتعلقنا ببعض ، فتم الزواج سريعا ورحلنا عن الحي ولكنه حي قريب ، وبعد شهور وضعت الولد شاهرا متظاهرة أنه من زوجي جاسم ، وسمعنا كلاما كثيرا ولغطا حولنا ، ولكن حبنا الجارف لبعض غطى على كل الدعايات والإشاعات ، ولما وصل إلينا خبر موتك نسيناك إلى الأبد ، وعاش شاهر بيننا ؛ كأنه ابننا الحقيقي قصدي ابن جاسم .. وصدق يا عرفان أن شاهرا منك ، ولم يمسسني رجل قبل أن أعرف بالحمل منك ، وإنما كرهي لك وبغضي لشخصك وأنك سرقتني من حبيبي جاسم ..

وكذلك بغضي وسخطي لأهلي ، كل ذلك دفعني لعدم كشف سر الحمل ، وكان ذلك إلى أن سمعت بحياتك ، وأنك لم تكن ميتا كما أشيع قديما ، وقد انتشر الخبر الغريب في حارة البراغمية وشوارعها .. وابنتي سمر متزوجة ، وتسكن في ذلك الحي ، فلما سمعت بذلك الخبر العجيب اتصلت بي فصعقت ابتداء ؛ ولكن لإراحة ضميري المثقل بهذه السر صارحت شاهرا بذلك السر، وشاهر شاب مسكين تعذب كثيرا في حياته ، وتعلق بالخمر كثيرا ، ووضعه الصحي لا يسر صديق ولا عدو.. وأنت أبوه ترتع بهذه الخيرات والنـعم .. فقررت مصارحته بهذا السر الخطير ، وهو لم يصدق الحقيقة لحتى الآن ، ولكن بعد ضغط مني وافق أن يأتي ليرى والده .. ولما رآك لم يصدق أنك أبوه .. وما تبقى تعرفه.

لزم عرفان الصمت فترة بعدما أنهت اعترافها ثم قال : أنت امرأة كبيرة يا مجدية ! وهذا الأمر خطير ؛ فإذا كنت راغبة بالمال ، فأنا سوف أغنيك إلى الأبد ، وأفتح لك حسابا كبيرا ـ وأخرج شيكا بخمسين ألف دولار ـ وهذا شيك بمبلغ بسيط خمسين ألف دولار أضعه بين يديك ـ وقدم لها الشيك ـ وهو يتابع كلامه قائلا : فقط أريد الحقيقة .. هل هذا المولود حملت به مني؟ وإذا كنت مدعية فهذا الشيك لك فقط قولي الحق الذي يرضي ربنا ؟

فقالت بجد : رغم أن الكذب سيفيدني بعرضك هذا ، ويريحك يا عرفان .. فالحق أنني حملت بهذا المولود منك رغم أنفي .. والذي ساعدنا على عدم إفشاء سر المولود هو موتك كما علمنا فشاهر ابنك .. ولقد تمنيت أن تسمع هذا الكلام من فم جاسم .. وأنا أخبرتك ليس طمعا بمالك وثروتك وإنما ذلك لإراحة ضميري.. وليعرف الرجل أباه .. ولتـعرف أنت أن لك ابنا وهذا شيكك لا أريده . ورمته عليه.

فنهض عرفان وقال : أتقسمين بالرب المعبود على ذلك ؟

فأخرجت مصحفا صغيرا من حقيبتها ، وأقسمت عليه بصدقها ، فقال عرفان : حسنا يا مجدية ! سأسافر بالولد إلى كاركاس لإجراء كل الفحوصات والتحاليل والشيفرات الوراثية.. فنحن في أواخر القرن العشرين ، وقد يستطيع الطب حسم هذه المسالة.

فقالت بكل هدوء : افعل ما بدأ لك .. أنا واثقة أن هذا الرجل ابنك ، واعلم أن ولدي ليس طامعا بثروتك.. بضع مئات من الدولارات أو الدنانير تكفيه وتسد رمقه.. ولكن له حق عليك حق الأبوة ..أتدرك ذلك ؟!

تبسم عرفان وقال : الأبوة يا مجدية ! أين كانت الأبوة ؟!

فصاحت في وجهه ثانية : كنت ميتا .. كنت ميتا.. فكتمنا ذلك شفقة على ولدك.. أنا المهم عندي أنني أرحت ضميري من ناحيته .. لقد صرفت عليه وكبرته .. والدور الآن جاء عليك عليك أن تداويه .. وترغمه على الزواج .. وتجد له عملا يعمل به .. وخذه عندك هناك وأجري عليه ما تشاء من التحاليل والفحوصات وليبق هناك.

فقال عرفان متسائلا : ويبقى يحمل اسم زوجك غريمي.

فعادت تصيح : زوجي مات ، وعليك الدعاء له بالرحمة ؛ لأنه تكفل بابنك ورعاه، وأدخله المدارس ؛ ولكن ابنك فشل ، وتعلق بالفسق والخمر والقمار .. أنا المهم عندي أن تعرف أنه ولدك .. وأنا مستعدة للاعتراف أمام أكبر قاضي في الدنيا أو في البلد .. وأن أقسم أمامه مليون مرة أن شاهرا ابنك.. وأنه لم يكن ابن جاسم في أي يوم من الأيام .. سواء رضيت أم أنكرت عليك أن تتحمل مسئولياتك نحوه من الآن فصاعدا .. خذه معك .. غير اسمه وليحمل اسمك.

فقال عرفان وقد عاد للجلوس : حسنا يا مجدية ! .. سأرتب الأمر.. فبعد إجراء الفحوصات الطبية المناسبة سأطلبك للاعتراف أمام كبار القضاة في هذا القطر وأدعهم يقضون بيننا أيسرك هذا ؟

فقالت صارخة : ولماذا تؤخر ذلك ؟!.. فأنا مستعدة للاعتراف أمام القضاة اليوم قبل الغد واعمل الاختبارات على مهلك وراحتك.

عندئذ شعر عرفان بصدقها، ولمس ذلك من حرارة كلامها واعترافها؛ ولكن كيف يعترف بهذه الأبوة وبهذا الولد بعد كل هذه السنين ؟! وأيضا كيف يرفض هذه البنوة بعد سماع كل ذلك

؟! فهو محتار .. سيكون مجرما إن رفض أخذه ورعايته.. سيكون مجرما كما تقف هذه المجرمة أمامه .. هل يخنقها ؟ لم تستطع الصبر حتى تضع مولودها!

فقال بعدما أعاد الشيك لجيبه : فليكن لقائي بهذه الولد قريبا.. سنسافر إلى بلدنا يا مجدية .. وإذا أنت بحاجة لمال فمدير شؤون القصر سيعطيك وسأوصيه عليك .. وأنت مغادرة سيقودك الخادم إليه فسيعطيك ألف دولار .. وإذا ثبت وراثيا أنه ولدي سأدفع لك أموالا ثمن تربيتك وصبرك.

وقرع الجرس فأقبل الخادم العجوز الفنزويلي الطيب فقال عرفان : لويس .. خذ هذه السيدة إلى مدبر القصر وليهبها ألف دولار.. وقدموا لها الاحترام كلما تأتى.. وليذهب معها السائق ليعرف بيتها.. سأرسل وراءها في الساعات القادمة.

فقالت مجدية : أنا تحت أمرك يا سيد عرفان .. وأشكرك على الألف دولار.. ولن أرفضها .. فزوجي الأخير رجل عجوز وبحاجة للعلاج.

فقال عرفان : لدينا مستشفى هنا ، فيمكنك الذهاب به إلى هناك .. وسيهتمون بكما .. على كل حال قريبا سأدبر أمركما .. أنا أعذرك بإخفاء أمر ولدي عن الناس رغم أنها جريمة كبرى .. وكما قال سيرجي صاحبي إعلان موتي هو السبب الأكبر في هذه المأساة ! .. سلاما.

البصمة الوراثية

التقى عرفان بولده شاهر، ووجده قليل الكلام بارد الأعصاب غير مكترث للحدث الذي يعصف بهم ، فقال عرفان : لم أحس بأنه ولدي؟!

فقالت مجدية : بل هو ولدك ، رغم ما كان بيني وبين جاسم من غرام وعشق لم أزن في حياتي قط .. والرجل جاهز لأي فحص أو إجراء تتخذه .. عليك أن تعترف ببنوته.

رغم هذا الكلام الجارح للإحساس والشعور لم يتحرك لشاهر جفن ، فالتفت إليه عرفان وقال : يا شاهر! هل تحس بأنني أبوك .. والدك ؟

فبعد صمت همس : لا أدري !.. قل لا أصدق .. لم أشعر في يوم ما أنني ابن رجل آخر.

فصاحت أمه : ويلك ألا تشعر بأنه أبوك ؟!.. ألا تحس بأي انعطاف نحوه ؟!

فرد على أمه بدوره وببروده : للأسف لا .. لم أشعر بشيء من ذلك .. وهو مظلوم .. أنت المجرمة يا أمي!

فهاجت مجدية ، وارتفع صوتها ، وزاد انفعالها ثم قالت : ويلك ! أبعد كل هذه السنوات تقول عني مجرمة ؟! .. يا ولدي أنا امرأة زادت سنها زاد عن الخمسين سنة ، ولا مطمع لي بمال هذا الرجل .. ولولا أنني عرفت بحياته لما كشفت لكم هذا السر الذي نسيناه .. ولكن يا ولدي لك حق في ماله ونسبه .. وإخوتك العشرة عليك أن تتعرف عليهم ، وتعيش معهم ، وفي أملاكهم وتأخذ نصيبك من ثروة أبيك بدلا أن تأخذ مصروفك من أختك سمر.

والتفتت إلى عرفان وقد هدأ هديرها قائلة: منذ تخرجت سمر من الجامعة واشتغلت ، وهي تصرف عليه ، ولما تزوجت ظلت تدفع له ثمن المشروب اللعين ، لم يفكر يوما بتعلم حرفة أو وظيفة يشتغل فيها.

فقال عرفان بغيظ : تربية سوء.. لم تكوني مستعدة للتربية والرعاية، كان همك الحب والغرام.

فهتف شاهر فرحا ومصفقا : صدقت ! هي ربتني على الضعف والخجل والفشل

فأخذت مجدية تدافع عن نفسها ، وهي تبكي بكاء حارا فقال لها في النهاية : هوني عنك حتى

لو لم تثبت أبوتي له سأهتم بكم وأرعاكم..

فصاحت وصرخت فيه وقالت : هو ولدك!.. ولدك!.. أنا مستعدة أن أقسم أمام القضاة والقانون أنني حملت به منك.

فقال : كفي عن الصياح ، واهدئي سنتدبر الأمر .. سأقوم بإخراج جواز سفر لك يا شاهر وتسافر إلى كاركاس عاصمة فنزويلا الجميلة أو فينيسيا الصغيرة لأمريكا اللاتينية..

وحلق عرفان في الخيال وقال : فعندما رآها المستكشف الإسباني ألونسو دي أوجيدا للمرة الأولى في عام ١٤٩٩ صاح مدهوشا إنها فينيسيا الصغيرة ، ولا زالت تحمل هذا الاسم حتى الآن ، ولسوف تشاهد أعلى شلال مائي الشلال الملائكي ، وبحيرة ماراكايبو وجزيرة مارجريتا لؤلؤة البحر الكاريبي ، وتشاهد جزيرة السلاحف البحرية ، وجزيرة الطيور ، وسوف تستمتع بأزهار فنزويلا الكثيرة وتتعرف على الثائر الفنزويلي الكبير سيمون بوليفار محرر كاراكاس ، حتى عملة فنزويلا تحمل اسم هذا الرجل وهي البوليفار .. أشياء كثيرة هناك ستنسيك كل الهموم والغموم .. فبلادنا واسعة ، بلاد الذهب والقصب والكاكاو والبترول .. ولما تستمتع بالحياة الجميلة وترتاح نفسيا وصحيا سنقوم بعمل الفحوص الوراثية والجينية لتطمئن نفسك ونفسي ونفوس إخوتك .. وتأكد يا شاهر لو أنه ثبت غير ما تدعيه أمك ، وأنك لست من دمي سأرعاك حتى المات ، وإذا شئت أبقيتك هناك وستعمل مع الأولاد ، وسوف أعيد تربيتك ونسجك من جديد بمشيئة الله، وأزوجك من أجمل نساء البلاد.

فقام الشاب يقبل يدي الرجل والدموع تنهمر من عينيه ، وهو يكاد يطير من الفرح لـمَ سمع من الوعود والأحلام والسفر والزواج ، وهتف قائلا : أنا رهن إشارتك وإحسانك يا سيدي وشاكر لعطفك وشفقتك عليّ.

فقالت أمه مؤكدة : هو أبوك .. وما سيفعله من أجلك ليس شفقة بل واجبا كان عليه قديما.

فقال عرفان : سيبقى الشاب في القصر يا سيدة مجدية من الآن حتى نسافر، وعندما يتحدد موعد السفر سأخبرك حتى إذا أحببت رؤيته وتوديعه قبل السفر، وإذا احتجنا لفحوص منك أرجو

أن تتعاوني مع مكتب المحامي الكبير الصديق حميد عز الدين .. أنا أريد أن أفعل ذلك ليطمئن قلبي .. ولمصلحة شاهر في المستقبل .. لأنه ليس من السهل أن ألصقه بي لمجرد أنني كنت زوجك يوما ما.

فتممت قائلة : أنا أعرف أن الأمر ليس هينا عليك وعلى أسرتك ؛ ولكنني لم أستطع أن أكتم الحقيقة وأنا أرى النـعيم الذي تعيش أنت فيه وتحرم فلذة كبدك منه .. ولو أنك فقير معدم قد أكون فكرت كثيرا قبل أن أصارحك بذلك .. أما ابنك شاهر فهو بحاجة لك ولعنايتك .. عليك أن تعرضه على الأطباء وأهل الاختصاص فعنده مشاكل في الأمعاء وأمراض جلدية ، وأن تخلصه من شرب الكحول.

فقال عرفان : سأفعل أيتها الأم الباسلة !

ولما خرجت مجدية أرسل وراء مدبر القصر وقال له : أنظر إلى هذا الشاب .. عليكم بتنظيفه وتلميعه وكسوته بثياب جميلة جديدة ورتب له غرفة وثيرة يرقد فيها وليقم على خدمته أفضل الخدم يا جولانيا.

أحنى الرجل العجوز جولانيا رأسه وقال : أمرك يا سيدي تعال أيها الشاب.

فساقه مدبر القصر الفنزويلي ، وكلف بعض الخدم بتحميمه وإزالة الأوساخ عنه ، وإحراق الملابس التي يلبسها ، ولم تم ذلك قدم له أفضل الطعام، ولما طلب الخمر اعتذروا له عن ذلك وأعلموه أن السيد الكبير لا يحب وجودها في القصر، ولما أصر على ذلك أخذه أحد الخدم إلى إحدى الخمارات ، فشرب حتى ارتوى ، وعاد به للقصر وألقاه في الغرفة التي أعدت له ، وأوصى الخدم على رعايته ومراقبته.

وفي الصباح التالي كان عرفان ناصر يتحدث مع المحامي حميد الذي لبى الدعوة سريعا ، وقال للسيد عرفان : إن جواز السفر سيكون بين يديه مساء هذا النهار ، وحضر عدد من الأطباء وقاموا بالكشف على السيد شاهر ، وأجروا اللازم ، وطلبوا منه عمل بعض التحاليل المخبرية والصور الإشعاعية ، وبعضهم اقترح إدخاله المستشفى بضعة أيام ، فطلب منهم عرفان علاج

سريع لأنه سيسافر به إلى فنزويلا قريبا ، وهناك سيتم فعل كل ما يلزم من علاج ودواء ، ولما اكتمل الأسبوع لوجود عرفان في القصر استعد للعودة لبلاده فنزويلا فعاد ، ولما حل بتلك الديار اتصل بسيرجي مدير أحد المستشفيات الخاصة وصديق عرفان منذ كان موظفا في إحدى شركات رومانوس ، واهتم سيرجي بالشاب والضيف شاهر وأدخله المستشفى لعمل الصور الشعاعية والتحاليل المخبرية ، وكذلك فحوصات البنوة والشيفرات الوراثية والبصمة الوراثية، وفصائل الدم والجينات ، وهذه الإجراءات تحتاج إلى أسابيع حتى تظهر نتائجها ، وكان الشاب شاهر مستسلما للأمر ؛ كأنه طفل صغير ، وكان عرفان خلال هذه الإجراءات والجينات التي أخذت منه أيضا على توتر شديد وقلق مؤلم ، ولا ينام إلا على حبات الدواء المنومة ، وكان لا يرى أنه سيكون سعيدا لو ثبتت أي صلة بينه وبين هذا الرجل الضعيف الهزيل ، ولما مضت المدة اللازمة أخبر الدكتور سيرجي عرفان أن النتائج والعينات يجب أن ترحل إلى الولايات المتحدة ؛ فإن الأجهزة المتوفرة هنا لا تساعد على إعطاء نتائج دقيقة ، فطلب عرفان من السيد سيرجي أن يسافر بنفسه إلى بلاد الغرب الأمريكي حيث الأدوات الأكثر دقة ، فسافر سيرجي على الفور، وبعد أشهر عاد بالنتائج المطلوبة ، وكان خلاصتها ونتيجتها أن هذا الرجل منه، فالصفات الوراثية متشابهة.

وأخذ الدكتور سيرجي يتحدث بكلام علمي فقال : أحدث النجاح المهم الذي حققه العالم الإنجليزي ألك جيفري عام ١٩٨٥ م ثورة في العلوم الجنائية ، حيث بين أن كل إنسان ينفرد بسمات جينية خاصة به لا تتكرر إلا عند التوائم المتطابقة وأطلق مسمى البصمة الوراثية على جزء من الحمض النووي ال دي إن ايه (DNA) ، فاعلم أيها الصديق أن الحمض النووي في الخلية الواحدة يتكون من سلسلة من القواعد النيتروجينية ، ويبلغ عددها حوالي ٣٣ بليون زوج ، وقد تبين أن حوالي ٩٩،٥ ٪ من الأحماض الوراثية تكون متشابهة في جميع الأشخاص، وهذا ما يجعل الناس متشابهين من حيث عدد الأرجل والأيدي والعيون والأحشاء وما إلى ذلك وأما ٠,٥ ٪ الباقية فهي مختلفة من شخص إلى آخر ، والتي تمثل الاختلافات الطفيفة بين

الأشخاص ، مثل اختلاف شكل الأنف والعين ولون الشعر وما إلى ذلك ، وهذا التباين أيها الصديق في أجزاء الأحماض النووية هو الذي يستخدم في تحليل البصمة الوراثية للتفريق بين الأشخاص كبصمات اليد ، ويوجد نوعان من التباين أو الاختلافات التي تقوم عليها البصمة الوراثية ، النوع الأول هو اختلاف عدد تكرار سلسلة معينة من الحمض النووي ، والنوع الآخر فهو اختلاف تسلسل القواعد النيتروجينية ، وأيضا يا صديقي لقد تطورت طرق تحليل البصمة بشكل سريع ، وأصبح بالإمكان تعيين بصمة الجينات من الدماء في مسرح الحادث لا تتعدى حجم رأس الدبوس أو بقايا نسيج بشري من الجلد تحت الأظفار أو الشعر.. ففي الولايات المتحدة الأمريكية تبلغ عدد قضايا إثبات البنوة حوالي ٢٠٠٠٠٠ حالة سنويا ، و٣٠٪ من الحالات يكون الأب غير معروف ، فقد لعبت تقنية البصمة الوراثية دورا مهما في حل قضية تحديد الأب المجهول ، فهناك طرق تعتمد عليها تقنيات الأحماض النووية في إثبات البنوة ، فقبل ظهور فحص الـ DNA فكان يعتد بالطرق التقليدية ، مثل فحص البروتينات والأنزيمات ويمكن من خلالها استبعاد الأب في بعض الحالات إلا أنها لا تعطي درجات من الجزم القوي لإثبات البنوة ، ومن الثوابت العلمية أن نصف المادة الوراثية من الأب (الحيوان المنوي) والنصف الآخر من الأم (البويضة) أو ما يسمى الكروموسمات، إذن الخلية المخصبة تتكون من مزيج من المادة الوراثية DNA ، فمعظم قضايا إثبات البنوة تكون في الواقع إثبات الأبوة ، فالأم غالبا ما تكون معروفة ، يتم أخذ عينة دم الأب والأم والطفل .. المقصود الأب المشتبه به ، فيتم تحديد الصفات المشتركة بين الطفل والأم حيث يرث الطفل نصف الصفات من أمه ، ومن ثم تتم عملية المقارنة بين باقي الصفات التي يحملها الطفل وبين الأب المشتبه به فإذا وجدوا بعض الصفات التي يحملها الطفل غير موجودة عند الأب المشتبه به، فيتم استبعاد الشخص كأب بيولوجي ، أما إذا وجدت صفات مشتركة بين الأب المشتبه به والطفل ، فيتم إجراء حسابات إحصائية معروفة لهذا الغرض.. بمعنى أننا إذا وجدنا أن جميع الصفات الموجودة في الأب موجودة في الابن ، فهذا احتمال كبير أن يكون الابن من هذا الأب.

واعلم أيها الصديق فمن خلال الدراسات الإحصائية وضع الخبراء المختصون في مجال إثبات البنوة قواعد أساسية لإثبات الأبوة ، فعندما يصل معدل إثبات البنوة إلى ٩٩٪ فهو مؤشر قوي جدا بأنه الأب الحقيقي ، أما إذا كانت الصفات الوراثية ٩٥ ٪ فتلك تعني ٥ ٪ فقط أن يكون المتهم ليس هو الأب الحقيقي ، ونتيجة لذلك وضع أهل الاختصاص جدول إثبات الأبوة ، فقالوا أقل من ٨٠ ٪ درجة لا يستفاد منها في إثبات الأبوة ، ومن ٨٠ ٪ إلى ٨٩,٩ ٪ احتمال وارد ، ومن ٩٠ إلى ٩٤,٩ ٪ يرجح أنهما من بعضهما ، وقالوا من ٩٥ إلى ٩٨,٩٪ يرجح بدرجة قوية ، ومن ٩٩ إلى ٩٩,٧٪ يرجح بدرجة قوية جدا ، ومن ٩٩,٨٪ إلى ٩٩,٩٪ علميا تم إثبات البنوة ، ونحن في حالتنا كانت النتيجة ٩٩,٩ ٪ ؛ فإذن من ناحية بيولوجية فالسيد شاهر ابن لك .. ويبقى إثبات ذلك عن طريق المحاكم في بلدكم الأصلي .. وأكد لي كثير من خبراء هذا الفن الذين التقيت بهم أن هذا الرجل والد لهذا الرجل.

رغم الشرح المفصل الذي بينه الدكتور سيرجي فلم يتقبل عرفان النتيجة بسرور ، بل كان الشك يسيطر عليه ، ولكنه استسلم للنتيجة ، وكان يفكر بخطة يزداد بها يقينا من أبوته لشاهر وأخبر أفراد الأسرة بتفاصيل القصة التي شغلته منذ سنة ، وقد تقبل أفراد الأسرة الحقيقة على مضض ، وهم لا يستطيعون رفض الحقيقة والتشكيك في قدرات العلم والتحاليل ، وكان عرفان يعرف صعوبة ذلك على الأولاد ؛ ولكنه لا يستطيع الهرب من الحقيقة أنه ابنه ، فقد كان بإمكانه إعطاء شاهر بعض المال ، وينسى ويتناسى أنه ابنه .. ولكن أين يذهب من ضميره ؟ فإذا كانت مجدية مجرمة فهل يجاريها في الإجرام؟ وله حق عليه كسائر أولاده الآخرين بل هو أصبح مظلوما أمام ما استفادوا منه ومن كفاحه خلال الأربعين سنة الماضية وطلب من الدكتور سيرجي متابعة علاج شاهر ، وقرر تغيير اسمه ليمنح جواز سفر فنزويلي وجنسية أبيه ولكنه يريد قبل ذلك أن يمكر بمطلقته ويعرف مكنونات قلبها ، فطلب من المحامي أن يخبرها أن الفحوصات أثبتت عدم وجود أي صلة بين عرفان وشاهر، وينظر ردة الفعل عندها ، فلما سمعت مجدية بذلك أخذت تشتم الطب والتحاليل المزيفة ، وتقسم على أنه ولدهما إلا إذا كان

من الشيطان ، وأخذت تتهم عرفان بالتحايل للتخلص من ولده بحجة الفحوص ، وأخبرها المحامي بعدما هدأت أن السيد عرفان رغم عدم تحقق النتائج الإيجابية سيقوم برعايته والعطف عليه إبراء للذمة ، وخوفا من خطأ الأطباء والخبراء.

ولما سمع عرفان بردة الفعل هذه لزم الصمت والحجرة عدة أيام ، وأخذ يفكر بطريقة يمكر بها بمجدية لتقول الحقيقة من غير أن تشعر .. ففكر بالتنويم المغناطيسي بالخطف والتهديد بالقتل إن لم تعترف وتقر بالمكيدة المدبرة ، كان عرفان يرى أن شاهرا شبيه في صورته بأمه أكثر من أبيه فلم يأخذ من هيئته الخارجية شيئا ، فقد صمم أن لا يخرج من الغرفة قبل أن يصل لنهاية لهذه القصة أو الصدمة.



شراء جوهرة

وبعد تفكير عميق وطويل وصل عرفان إلى فكرة وتتلخص هذه الفكرة بأن تتصل امرأة ذكية بمجدية ، وأن تستدرجها لفتح مكنونات وأسرار قلبها ، ويلزم أن تكون هذه المرأة صديقة لمجدية ، فعاد للاتصال بالمحامي حميد في الثعبانية وشرح له الفكرة الجديدة والهدف منها ، فاتصل المحامي بدوره بمكتب التحقيقات الخاصة ، والتقى بمديره السيد حمزات عاليوه ، وطرح عليه فكرة وخطة السيد عرفان ، وافق المدير عليها من حيث المبدأ ، وعرض على المحامي خطة أخرى تتلخص أن تتقرب امرأة من طرفهم بالسيدة مجدية على أن تظهر في حياتها صدفة وفجأة ، وتُكون معها صداقة فقال المحامي : افعل ما بدأ لك .. نحن نريد أن نتأكد بقوة وجزم من صدق معلومات هذه المرأة عن حملها من السيد عرفان.. وأن هذا الشاب المدعو شاهر ابن حقيقي له.. شغلتنا هذه المرأة .. وشغلت السيد المحترم عرفان.. فقضية البنوة هذه قصة عجيبة .. فرغم التحاليل فالسيد عرفان ما زال يخامره الشك والظن في نتائجها.

وضعت مجدية تحت مراقبة رجال مكتب التحقيق الخاص ، فعرفوا الأماكن التي تتردد عليها والأوقات التي تغادر البيت فيها ، ثم قام رجال المكتب باستئجار منزل قريب من بيتها ، ولم تكد تمضي أيام حتى كان المستأجر الجديد وزوجته من أصدقاء العائلة، وأظهر لهم أنه رجل اجتماعي يحب الجلوس والسمر والاحتكاك بالجيران والتـعرف عليهم بسرعة ، ولم يفتحوا معهم خلال الأسبوع الأول من التـعارف شيئا عن قضية عرفان ، وأخذت الزوجة المزعومة عندما يغادر زوجها للوظيفة التي يعمل بها تتردد على جارتها أم سمر حتى اطمأنت لها.. وذات صباح فاجأتها المرأة وهن يشربن القهوة سوية قائلة : لقد سمعت من بعض الجيران أنك أرسلت ولدك الوحيد إلى أمريكا للعلاج .. ماله ؟ ما به؟

فقالت مجدية ببساطة : آ .. ذهب مع أبيه للعلاج.

فتظاهرت المرأة بالاستغراب وقالت : أليس أبوه ميتا ..ألم تخبريني أن زوجك الأول قد مات منذ زمن؟!

قالت: إن لذلك حكاية ، ولابد أن الجارات المحترمات حدثنك بذلك.

وأخذت تعيب على النساء كثرة ثرثرتهن ونميمتهن فقالت المرأة : الحق والله أني سمعت من بعضهن قصة غريبة .. لم تدخل مخي بعد يا أم سمر ولكني سمعت أيضا منهن أن أباه الحقيقي قد مات ، وأن السيد الأجنبي لا علاقة له به ..فلا أدري ما هو الصحيح يا أم سمر؟

فغضبت مجدية من جاراتها وصاحت : إنهن كاذبات ماكرات.

وقصت عليها قصة حياتها وزواجها من عرفان الفنزويلي وسفرها إلى أمريكا ، ثم طلاقها والقصة المعروفة الآن للقارئ الكريم ، فلما انتهت من حديثها قالت المرأة : أنت صادقة! ولماذا تكذبين بعد أن وصلت لهذه السن من العمر ؟ .. وهي قصة عجيبة وهل اعترف أبوه بهذه الحقيقة يا أم سمر ؟

فقال مجدبة بحزن : للأسف لم يعترف بعد بذلك ، ولم يصدقني ، ويعتقد أنني محتالة أدبر مكيدة لنيل ثروته .. ولكن الظروف والأحوال هي التي دفعتني للتظاهر بعدم الحمل .. كان لابد من ذلك في تلك الأيام الخوالي ، وإلا خسرت الزواج ممن عشق القلب .. ولولا موافقة جاسم زوجي وحبيبي لما تم زواجنا ولنكشف أمر الجنين ، وشاء القدر أن نسمع بموت عرفان فظل السر حبيس صدورنا .. ولكن لما ظهر عرفان زوجي الأول.. كان لابد أن يعرف الحقيقة .. الابن يعرف أباه ، والأب يتـعرف على ابنه .. هذه خطيئة كبيرة يا أم حسن ويجب تصحيحها والرجوع إلى الحق فضيلة كما نسمع .. وشاهر ولد مسكين ضائع.

فتظاهرت المرأة بأنها سمعت القصة فقالت : والله أنا لما سمعت القصة من أم ربيع لم أصدق يا أم سمر.. وظننت بصراحة أنها حيلة منك لتحصلي على قرشين حلال من السيد عرفان ، لما سمعت بظهوره وغناه .. لا تؤاخذيني على هذا الظن .. فكيف يوافق رجل على إعطاء اسمه لولد يعرف أنه ليس من صلبه ؟ بل ابن من أخذ منه حبيبته!

فقالت مجدية بضيق : أعرف أن الأمر صعب ، وصعب تصديقه ؛ ولكنه حصل ، ويومذاك يا أم حسن لو حدثت أهلي بالحمل لخشيت أن يعيدوني إلى السيد الفاضل عرفان .. وأنا التي

أجبرته ورغبته بطلاقي والانفكاك عني .. وكان الحمل يومها في أول أيامه فلم أشعر به.. ووافق جاسم على الدور المطلوب منه ؛ لأنه لو رفض إعطاء الجنين اسمه ، قد لا يظفر بالزواج مني .. وقتل الجنين لم أستطع الإقدام عليه .. كانت الأمور معقدة .. أنا أريده وهو يريدني .. ورفضنا أن نجعل الحمل عقبة أمام حبنا وعشقنا الكبير ..هذا ما كنا نفكر به فقط فأهلي كانوا يكرهونه ويعتبرونه سبب تخريب حياتي الزوجية لـمَ اشتهر عنا من حب وغرام

فقالت أم حسن : هذه هي القصة إذن يا أم سمر.

فقالت أم سمر : آ .. والله هذه الحقيقة يا أم حسن .. وهؤلاء الجارات حاسدات لي ولولدي شاهر الضعيف المسكين .. فهن يفترين عليّ الكذب .. ويدعين أنني أمكر بالسيد عرفان .. وأنني استغل أمر عودته بعد كل هذه السنين ، واستغل موت زوجي جاسم فاخترعت هذه الحكاية .. وولدي أبله فأستطيع أن أحتال به على هذا الرجل الطيب .. والله هذه الأفكار ما خطرت ببالي .. ولست طامعة بثروة زوجي السابق .. فالحمد لله الحياة مستورة .. وهذا البيت ملك لزوجي الحالي.. وبيتي القديم كان ملكا لي ولزوجي جاسم.. وتركته لولدي المسكين .. ولولا الحلال والحرام ما تفوهت لأحد بالحقيقة.

فقالت أم حسن : لابد أنك صادقة .. وهل ابنك سافر إلى هناك للعلاج فحسب ؟

فقالت مجدية التي تحب الثرثرة : لا .. ذهب للعلاج والتعرف على إخوته أيضا، وقيل إنهم هناك يستطيعون عمل بعض الفحوصات الخاصة لإثبات البنوة والنسب بينه وبين أبيه .. وله قريب من السنة عندهم.

فعادت أم حسن تسأل : ما أخباره ؟ لليوم يعمل التحاليل هل اتصل بك وأخبرك بنتائج التحاليل والمختبرات ؟

فقالت : شاهر مسكين .. منذ سافر لم أعرف عنه شيئا ، وقد زرت قصر جبل الأعمدة .. قصر والده ، وتكلمت مع مدير القصر فطمأنني على صحته .. وأنهم قد يعودون قريبا .. وها أنا أنتظر النتائج مع أن المحامي الخاص للسيد عرفان تحدث معي وأخبرني أن التحاليل لم تحسم

الأمر والله أعلم يا أم حسن.

فقالت المدعوة أم حسن: إن شاء الله ستكون النتيجة كما تحبين وترغبين.. وتثبت البنوة بينهم ويرتاح بالك وتطمئنين على سعادة ابنك شاهر.

فقالت مجدية : إن شاء الله فشاهر ولد بحاجة لأهل وإخوة ومال.

فقالت أم حسن وهي تنهض : سيتحقق رجاؤك وحلمك تجاه ولدك.

وغادرت أم حسن بيت جارتها أم سمر ..وكانت قد قامت بتسجيل الحوار على جهاز تسجيل صغير ، واستطاع رجال المكتب إقناع إحدى صديقات مجدية بمبلغ مغرٍ بالنسبة لها من إغواء مجدية بالحديث عن قصة شاهر ، وقامت الصديقة بإثارة الموضوع مع مجدية ، واتهمتها بالكذب والخداع ، فثارت الأخيرة وغضبت وأقسمت أنها صادقة وأنها بعد طلاقها اكتشفت الحمل ، وذلك بعد رجوعها لوطنها، ونقلت هذه المعلومات وشريط الكاسيت الذي سجلته أم حسن إلى السيد عرفان، فاستسلم للأمر الواقع في النهاية ، وأخذ ينظر لشاهر على أنه ولده وشرع يفكر بالإجراءات اللازمة لتحويله إلى ابن شرعي ، وبعد تدبر وتفكير مع سكرتيره الخاص ارباس ، والطبيب سيرجي صديق العمر ، اتفقوا على أن يسافر عرفان في الوقت المناسب إلى وطنه السابق ، وأمام إحدى المحاكم المناسبة تقر وتعترف مجدية بجريمتها ، وإخفائها أمر الحمل وأن هذا المولود كان من زوجها الأول ، وتقدم كذلك تقارير وتحاليل المختبرات للمحكمة ، وعلى أثر ذلك نقل عرفان هذه الأفكار إلى المحامي الصديق منذ سنوات حميد عز الدين ، وطلب منه عدم الحديث بذلك مع السيدة مجدية ريثما يحضر .

اعترفت الأسرة كلها بالابن الجديد ، وإن وافق بعضهم على هذا الدخيل على مضض ومجاملة لوالدهم ، وبدأ عرفان بتأهيل ابنه الجديد للحياة الجديدة ، وقد كان الدكتور سيرجي يتابع علاجه الصحي والبدني والنفسي ، وأخذ بعض المدرسين بتعليمه اللغة الإسبانية اللغة الرسمية للبلاد ، ولم يفلح بالتقدم فيها شيئا يذكر ، فصرف عرفان النظر في ذلك ورسم في مخيلته أنه سيقوم بالعناية به في بلده ، وسينـزله في القصر مؤقتا ريثما يبني له بيتا أو يشتري له بيتا وذلك

بعد أن تتم وتكمل إجراءات الاعتراف به ، وسوف يزوجه فتاة من بلده ، ويجعل له راتبا شهريا وعملا هادئا ، ثم خاطب محاميه عز الدين ، وكلفه بشراء منزل مناسب لزوجين حديثين وحول رصيدا باسم ولده يزيد عن مائة ألف دولار على أحد بنوك الثعبانية ولم يبق في نظر عرفان إلا إجراءات إعادة الاسم لابنه وحذف اسم جاسم ووضع اسمه مكانه في البطاقات والوثائق الشخصية ، وبينما السيد عرفان يستعد لهذه الخطوة الكبيرة والدقيقة في حياته اتصل به أحد الأصدقاء وكبار رجال الأعمال يخبره عن ظهور جوهرة في الأسواق العالمية ، جوهرة وزنها ١٠٠ غم ومن أصل آسيوي ، وهي معروضة للبيع في اليابان الآسيوية ويقال إنها كانت في ثروة أحد الأثرياء هناك ويريد ورثته بيعها ، ولما التقى الصديقان حدثه الصديق ماريو سبانتي أن ثمنها كبير ، فمطلوب فيها ما يعادل ثلاثة ملايين دولار، فلذلك تردد كثيرون من رجال الأعمال والمال وعشاق المجوهرات في شرائها ، فقال عرفان بعدما سمع حديثها ، وهو من الرجال الذين يعشقون الجواهر والأحجار الكريمة النادرة : أين هي معروضة الآن ؟

فقال ماريو : أين هي الآن أو مع من لا أحد يدري ؟ إنما ظهرت لها صور في المجلات وبعض محطات التلفزة وذكر عنوان ورقم هاتف فلما تم الاتصال بالرقم تبين أنه محامي ووكيل ملاكها

فقال عرفان : كيف سنراها ؟! ونتأكد منها وأنها جوهرة حقيقية ؟

فقال ماريو : إذا رغبت بها سأرتب لك الأمر.

فقال : أنت تعرف شغفي بالجواهر النادرة ، وإن كان السعر مرتفع سندبر الأمر .. نعم أريد مقابلة هذا الوكيل.

فوعده السيد ماريو بتدبير الأمر ، ثم انصرف ماريو ، وبعد أيام تكلم ماريو مع السيد عرفان فقال: لقد اتصلت بالوكيل في ماليزيا ، وبعد عدة اتصالات قال لي : حدد مكان اللقاء وزمانه .. فقلت له : أن ذلك يحتاج إلى سرية خاصة ، وسأتحدث معك ثانية .. وجئت اتفق معك فما تقول يا سيد عرفان ؟

سكت عرفان بضع دقائق ثم قال : ننزل الشرق الأوسط في الثعبانية حيث قصر جبل الأعمدة

قصري الجميل يا ماريو.. احجز له في فندق (الوردة البيضاء) لمدة أسبوع من مايو القادم ، وبعدما يصل الفندق عليه أن يتـصل بالقصر ، فأعطيه رقم هاتف القصر، وهناك أرتب معه مكان العرض والساعة ، وأنا سأتفق مع خبير المجوهرات روسي بارك .. وإذا أحببت السفر معنا يا ماريو.

فقال ماريو: لديّ أعمال تشغلني عن هذه الرحلة .. عندما تعود ظافرا بالجوهرة أكيد ستسمح لي برؤيتها .. سأتصل به ، وأرسل له عنوان الفندق كما تحب .. ووقت الرحيل بطريقتي الخاصة

فقال عرفان : سأتحدث مع السكرتير ارباس ليرتب الحجز هناك.. وأرتب نزولي هناك أيضا.. فلي حاجة مهمة أخرى بزيارة وطني الأول يا ماريو .. اكتب له وأحذر أن تعلم العصابات بهذا التحرك.. فأنا مريض ولست بحاجة لمعارك خطيرة.

فقال ماريو: اطمئن سأكتب له.. وإن تلقيت الموافقة سأخبرك لتستعد للسفر؛ فإن مايو قريب

تم حجز جناح بفندق (الوردة البيضاء) ذي النجوم الخمسة لمدة أسبوع ، وهو الأسبوع الثاني من مايو ١٩٩٤ م ، وقد وافق وكيل صاحب الجوهرة على هذا اللقاء والعرض ، ولما اقترب شهر مايو ركب الطائرة الخاصة عرفان وبعض أبنائه الابن سليم وابنته عبير ـ هؤلاء من صغار أولاده ـ وطبيبه الخاص وسكرتيره ارباس وممرضته الخاصة جوانا باربكير وخادمه الخاص لويس وسائقه وثلاثة رجال أمن أشداء سوى حارسه المعتاد ، وخبير المجوهرات روسي باركر ومساعده دافيد ، وبصحبتهم الابن الجديد لعرفان الابن شاهر وكابتن الطائرة الخاصة ومساعده ، فكل هؤلاء رافقوا عرفان في رحلته إلى بلاده الأولى ، وفي الأول من مايو هبطوا المدينة ، واستقروا في قصر جبل الأعمدة ، ولما استراحوا من تعب الرحلة اتصل عرفان بأخته أمينة ، ثم استقبلها وأولادها ، وعرف ولديه على عمتهم وأولاد عمتهم ، ثم استقبل مجدية التي عانقت ولدها ، وارتاحت نفسها لما لاحظت تحسن صحته ، وطلب منها السيد عرفان الاستعداد للاعتراف أمام مجلس القضاة بأن شاهرا هو ابن للسيد عرفان، وليس ابنا للسيد جاسم سرور بزة ، وعليها أن تستعد للقسم على ذلك .

الجريمة

الجواهر تتخذ من أصناف كثيرة من الألماس والياقوت والزمرد والعقيق واللؤلؤ والفيروز والكوارتز والاوبال والسفير ، فهذه الجواهر تسمى أحجارا كريمة؛ لأنها نادرة وثمينة ، والجوهرة التي يحاول السيد عرفان امتلاكها هي ماسة كبيرة تزن (٢٠) قيراطا تقريبا ، ويقال أن القيراط يعادل خمس غرامات ، والألماس يأتي بعد الياقوت بالسعر لندرته، فيباع نوع من الياقوت القيراط بمبلغ ٢٠٠٠٠٠ دولار، بينما يباع قيراط الألماس الأبيض المتـصدع بخمس هذا المبلغ .. ويعتمد سعر الماس على الحجم ، واللون ، ودرجة النقاء ، وطريقة الصقل لألماسة، فكلما زاد وزن الحجر زاد سعره .. وربما تكون هناك جواهر ألماسية نادرة فتباع لقيمتها التاريخية وأفضل الألماس وأثمنه الأبيض المائل للزرقة ، ثم الأبيض النقي، فالأبيض المصفر ، فالأخضر الداكن ، فالوردي ، ثم الأزرق ، ثم الأحمر.. والألماس أصلب من الحديد.. وأشهر الألماسات في التاريخ ألماسة كوهينور أو جبل النور بالفارسية ، وهي أقدم ألماسات العالم، وقد عثر عليها في مدينة جولكندا القديمة في الهند عام ١٣٠٤م ، وكانت تزن آنذاك ١٨٦ قيراطا ، وأصبحت من مقتنيات (راجا الملاو)، ثم وقعت في يد السلطان بابر أول إمبراطور مغولي، ثم وصلت لنادر شاه الإمبراطور الأفغاني، وبعد اغتياله سنة ١٧٤٧م ، انتقلت لابنه، وقد تعرض ابنه (شاه شوها) لتعذيب شديد ، وفقد بصره قبل أن يتخلى عن ألماسة كوهينور، وبعدما تنقلت الالماسة بين أيدي كثيرة ، عثر عليها ضابطان بريطانيان في لاهور عاصمة البنجاب عام ١٨٤٩م وقدمت هدية للملكة فكتوريا فقطت إلى جوهرة وزنها ١٠٨,٩٣ قيراطا ، ثم انتقلت لابنتها الملكة الكسندرا ، وفي عام ١٩١١م ارتدت الملكة ماري تاجا يشع منه بريق الكوهينور ، ثم انتـقلت للملكة اليزابيت زوجة الملك جورج السادس ، ويعرف هذا التاج الآن بتاج الملكة الأم.



ومن قصص أحجار الألماس ألماسة كولينان وهي أكبر ألماسة عثر عليها حتى الآن ، يبلغ وزنها ١٣٠٦ قراريط ، وقد أهديت للملك إدوارد السابع ، وأرسلت إلى أمستردام من أجل تقطيعها وإعادة صقلها ، وقطعت إلى تسع ألماسات بحجم كبير و٩٦ بحجم صغير .. وأشهرها نجمة أفريقيا الكبرى التي تزين الصولجان البريطاني ، ويبلغ وزنها ٥٣٠ قيراطا ، أما ثاني الألماسات المأخوذة من كولينان فيبلغ وزنها ٣١٧ قيراطا ، وتزين كذلك التاج البريطاني.



وهناك أجمل ألماسة ، وهي هوب وهي زرقاء اللون وتزن ١١٢٥ قيراطا، ولها مكانة خاصة في عالم الألماس ، فهي الوحيدة التي تطلق أضواء فسفورية حمراء حيرت خبراء الألماس.. وبطريقة ما انتقلت لفرنسا وبيعت إلى الملك لويس الرابع عشر الذي أمر بصقلها على شكل قلبين يزن كل واحد منها ٦٧ قيراطا ، وأطلق عليها اسم الألماس الأزرق للتاج ، ثم انتقلت للويس السادس عشر وماري أنطوانيت ، وفي عام ١٧٧٢ م سرقت الألماستان من باريس ، ثم ظهرت إحداهما في لندن عام ١٨٣٠م بوزن جديد بلغ ٤٤,٥ قيراطا ، واشتراها رجل أعمال بريطاني يدعى (هنري هوب) مقابل ٩٠٠٠٠ جنيه إسترليني ، وبعد وفاته عانى ورثته المشكلات ، وأفلس عدد منهم ، ثم انتقلت الألماسة إلى أوروبا الشرقية وأهداها أحد الأثرياء إلى ممثلة مشهورة ، لكن لم يلبث الثري أن قتل تلك الممثلة ، ولما اشتراها تاجر يوناني وقع له حادث تصادم حيث قتل ومعه أسرته ، وعندما انتقلت الألماسة إلى السلطان(عبد الحميد الثاني) وقع انقلاب وأطيح به ، ثم وصلت بعدئذ إلى الأمريكية (ايفلين ويلش ماكلين) حيث صاغتها على شكل قلادة من ٦٢ الماسة ، ثم روعت بمقتل اثنين من أبنائها ، وأصيب زوجها بمرض عقلي ، وبعد وفاة تلك المرأة عام ١٩٤٧م اشترى القلادة تاجر المجوهرات (هاري ونستون) بمليون دولار ، ثم تبرع بها لمؤسسة (سميث سونيان الأمريكية) عام ١٩٥٨م.



وبما أننا نتحدث عن الألماس فلنذكر أشهر الألماسات المعروفة غير ما ذكرناه آنفا ، فقد تعرفنا على كوهينور ونجمة أفريقيا وهوب وغيرها فهناك أيضا : ألماسة تيفاني وزنها ١٢٨ قيراطا، وهي ألماسة صفراء وعثر عليها بجنوب أفريقيا وألماسة الاكسلسيور أستخرجت من جنوب أفريقيا أيضا عام ١٨٩٣ م وكان وزنها ٩٩٥,٢٠ قيراطا ؛ ولكنها قطعت إلى عدة قطع ، ثم هناك الألماسة المغولية أستخرجت من الهند في القرن السابع عشر ووزنها قبل الصقل ٨١٧,٥٠ قيراطا، وبعد الصقل أصبحت ٢٨٧,٥٠ قيراطا ، وأما ألماسة الجوبيلي استخرجت من جنوب أفريقيا عام ١٨٩٥م ، وبلغ وزنها بعد الصقل ٢٤٥,٣٥ قيراطا.. وهناك ألماسة الرجنت ألماسة هندية وجدت عام ١٧١١م ، وبلغ وزنها ١٤٠,٥ قيراطا بعد صقلها ، وهي الآن مستقرة في متحف اللوفر في باريس .. وكانت من مقتنيات التاج الفرنسي .. وهناك أيضا الألماسة الاورلوف هندية المصدر وبلغ وزنها ١٩٩,٦٠ قيراطا ، وأهديت لكاترين الثانية الروسية عام ١٧٧٣م ، وألماسة الجونكر ٧٢٦ قيراطا ، والجاركاسي ٢٦٢ قيراطا وتسمى نجمة الجنوب ، واستخرجت من البرازيل ، ولا ننسى ألماسة الفلورنتين وزنها ١٣٧ قيراطا.



هذه قصص بعض وأشهر الألماسات في العالم ، لقد كان عرفان بشوق كبير لشراء وامتلاك الألماسة الآسيوية ، فلذلك كان قصر الفنزويلي في اليوم العاشر من مايو متوترا ، والكل في ترقب وانتظار ؛ كأن هذه هي المرة الأولى التي يشتري فيها سيد القصر جوهرة ، فكانت الترتيبات أن يأتي وكيل صاحب الجوهرة في تمام الساعة التاسعة ليلا إلى القصر ، وهو يحمل في حقيبته

الجوهرة الثمينة، فكان حرس القصر المحلي على أهبة الاستعداد لأي طارئ أو خطر مجهول ، وكان حارس عرفان الخاص أيضا على استعداد كامل للتعامل مع أي مفاجأة ، فالكل في استعداد وترقب ، وكان السيد عرفان قد أمر بإعداد قاعة العرض الخاصة في القصر لاستقبال الضيوف .. وهذه القاعة مزخرفة وملونة بأشكال وألوان بهيجة تسر الناظرين ، ولقد كانت في طرف القصر ، لها مدخل خارجي خاص ، ولها مدخلان داخليان ، ويسميها السيد عرفان قاعة الطيور لما رسم على جدرانها من ألوان وصور الطيور الجميلة الأخاذة ، فقد هيئها الخدم منذ الصباح لاستقبال الضيف الآسيوي ، ولما بلغت الساعة الثامنة والنصف ليلا مشى نحوها عرفان وتفقدها ، وقد أكد له السكرتير ارباس أن الزائر سيأتي في الوقت المحدد ، وأن سيارة القصر الخاصة قد ذهبت للإتيان بالزائر ومن معه، وقبل التاسعة بقليل دخل القاعة ولدا السيد عرفان سليم وعبير، ثم أتى الطبيب والسكرتير وخبيرا المجوهرات روسي ودافيد ووقف أحد الحرس أمام الباب الخارجي للقاعة من جهة الحدائق حيث سيدخل الزائر، وفي التاسعة أخبر حرس الباب الرئيسي للقصر السكرتير ارباس بوصول الزائر ورجاله ، فأخبر السكرتير عرفان بوصولهم ، وخرج ينتظرهم على باب القاعة ، وجلس عرفان على أحد المقاعد حول طاولة كبيرة وأنيقة ، وكان على يمينه ولداه سليم وعبير ، وبجوارهما الطبيب ، وكان الخادم يقف أمام أحد الأبواب الداخلية للقاعة ، وكان الخبيران يجلسان على يسار عرفان فدخل السكرتير ومعه ثلاث رجال آسيويون ، وخلفهم رجال الحماية ، فأشار لهم السكرتير بالوقوف بجوار الباب ، ونهض عرفان وصافح الضيوف الثلاثة ، وأشار لهم بالجلوس على المقاعد المعدة لهم أمامه ، وقام السكرتير بالتعريف بين الطرفين ، وقدم الخادم عصير الليمون ولما شربوه تحدثوا عن أخبار المجوهرات والألماس ، ثم أشعلت السجائر ، ثم قال عرفان للوكيل الآسيوي : هات بضاعتك .. فهؤلاء خبراء المجوهرات . وأشار لروسي ودافيد .

ففتح الوكيل الحقيبة التي وضعها على المائدة أمامهم ببطء ، ولكنه قبل أن يتم عملية الفتح للحقيبة ، أخرج من جيب الجاكيت التي يرتديها علبة جميلة وأخرج منها جوهرة بيضاء لامعة

ودفعها للسيد عرفان ، فأخذ الآخر يتحسسها بانبهار وإعجاب وجمال ودهشة ، ثم دفعها لروسي الذي قد فتح حقيبته وأخرج أدواته الدقيقة ومجهره ، ولما تحسسها ثم وزنها وأخذ ينظرها بعدساته دقائق ، ثم وضعها على الطاولة بغضب وقال : هذه ليست جوهرة حقيقية يا سيد عرفان .. إنها جوهرة صناعية!

فتناولها دافيد بدوره ، ونظر عرفان للوكيل بنظرة غضب ، ولما سمع دافيد يؤكد كلام روسي حملق بالزائر الذي قال بهدوء وابتسام : سيد عرفان لا تغضب .. خبيرك رجل عليم ماهر هذه نسخة شبيهة بها ، الاحتياط والحذر واجب ومطلوب أيها السيد الكريم.

ولما عاد الهدوء لعيني عرفان والحاضرين رفع الوكيل الجوهرة التـقليدية التي بهرت الحاضرين ووضعها في صندوقها الخاص ، وهو يقول : حسنا أيها السادة قبل أن تروا الجوهرة الحقيقية نريد الثمن الذي اتفقنا عليه يا سيد ارباس.

فقال ارباس : الشيك جاهز كما تم الاتفاق، والشيك بيد السيد عرفان.

أخرج عرفان الشيك المصروف على أحد بنوك النمسا ، فلما نظره الوكيل قال : تمام سيد عرفان ! فعندما تتأكد من الجوهرة الحقيقية سنضعها في البنك (الشرقي) كما اتفقنا مع المدير وعندما أخبرك أنني استلمت المبلغ سيقوم المدير بتسليمك الجوهرة.

فقال عرفان : جيد ! أنا سأتحدث مع المدير .. وغدا صباحا ستذهب مع ارباس فتضعون الجوهرة عنده وتدفعون له عمولته.. وتأخذ الشيك .. ولما تصرفه في أوروبا ، ويكون معك ارباس .. فعندما تتصل بالمدير سأستلم الجوهرة فورا .. ويعود ارباس والحرس .

فقال الوكيل : جميل هذا الترتيب!

فعندئذ قام حضرة الوكيل بإخراج صندوق من جيب رفيقه ، وأخرج الجوهرة الحقيقية ، وقدمها للسيد عرفان الذي بهر عندما لمع بريقها في عينيه ، وسال لعابه لتملكها ، وتركت تأثيرها على الحاضرين ، وكانت تعادل ٢٠ قيراطا ، ولما داعبها عرفان المغرم بالمجوهرات النادرة دفعها للخبير روسي باركر الذي أخذ بدوره يقوم بالفحوصات اللازمة للتأكد من أنها جوهرة ألماسية

حقيقية طبيعية وليست صناعية ، وبينما الجميع مندمجون في إنهاء روسي اختباراته لإتمام الصفقة صفقة الجوهرة الآسيوية رن جرس الهاتف ، فمشى ارباس مسرعا نحو الهاتف ، واستمع قليلا ثم مشى نحو عرفان وهمس قائلا : ماريو فنزويلا.

سار السيد عرفان إلى الهاتف وقال : أهلا صديقي ماريو واستمع بضع دقائق ، وكان خلال الاستماع ينظر لحظة إلى الآسيوي ، ولحظة إلى روسي باستغراب ، ثم قال : أمـعقول ذلك أيها الصديق ؟!

وصمت ثانية يستمع ، ثم وضع السماعة وقال : روسي .. دافيد .. وصلني الآن خبر أن هذه الجوهرة مقلدة وليست أصلية.

ارتبك المكان لهذا التصريح ، وكان الخادم قد أعلن في هذه اللحظات أن المائدة جاهزة للعشاء مع الضيوف ، فهتف الآسيوي دهشا : مقلدة !.. ألم يفحصها خبيرك روسي ؟ .. إني أحس رائحة لعبة سيد عرفان؟!

قال عرفان : لا تقلق جوهرتك بين يديك ، ومالي عندي .. وهذا صديق عزيز وعاشق مثلي لجمع المجوهرات ، وكلنا يملك مجموعة مهمة ونادرة منها.

فقال روسي محتجا : سيد عرفان ! الجوهرة التي فحصتها قبل دقائق ، وفحصها زميلي دافيد جوهرة أصلية ألماس طبيعي .. وكيف عرفوا من هناك أنها مقلدة تقليدا متقنا ليخفى علينا؟!

فقال عرفان : هذا ما نقل لي الآن .. أنا لا أشك بقدرتك يا روسي ، ولا أنت يا دافيد ، ولكن لا يخلو الأمر من مكر وخداع .. سنسافر النمسا أو هولندا ، وهناك نعرضها على أعظم خبراء المجوهرات .. وشهادة عدد منكم يا روسي ستزيد من يقيننا ، وقد نسافر لندن أو برلين أو بلجيكا أم تجارة الماس.. فهذه ملايين يا حضرة الوكيل .. وكل الرحلات على نفقتنا الخاصة.

فقال الوكيل بغضب : نحن نعرف بضاعتنا !.. سنلغي الصفقة سيد عرفان .. ولن أرحل إلى النمسا وإن كنت حجزت إليها لصرف الشيك الكبير.

فقال عرفان : سيدي الوكيل شانغ يانج .. لا يجوز إلغاء الاتفاق بعد كل هذه المصاريف

والنفقات .. إنما نريد أن نعرض البضاعة على مزيد من أهل الخبرة .. وهذا من حقنا.

أجاب الوكيل : أحضرهم إلى هنا .. هنا أمان أكثر .. أنا أخشى على نفسي من السفر إلى أوروبا وأنا أحمل هذه الجوهرة .. فنحن منذ تركنا بلدنا ونحن في خوف وقلق وتوتر وحذر فكيف تريد منا أن نسافر إلى أوروبا ؟! .. فصاحبك هذا لا يريد لك الخير .. يدبر لك كيدا

وقبل أن يرد السيد عرفان على اتهام الوكيل لماريو ، رن جرس الهاتف ثانية فأخذه عرفان من يد السكرتير وهو يتعذر منه ويظن أن ماريو مرة أخرى : آ .. أنا عرفان .. من ! .. البوليس الشرطة ؟! .. ماذا قلت ؟ !

وترك السماعة وقال بذهول : قتلت مجدية!!

وارتخى على أحد المقاعد وأغمض عينيه ، فنهض الطبيب نحوه مسرعا يفحصه ، وأمر بنقله إلى مخدعه ، فقد تصدع قلبه لهول الخبر ، وتوكأ عرفان على أكتاف أبنائه وصعدوا به إلى مخدعه ، وقام ارباس بأخذ الضيوف إلى غرفة الطعام ، وبعد أن تناولوا لقيمات غادروا للفندق ، فنقلهم السائق بسيارات القصر مرة أخرى للفندق ، واستقبل ارباس رجال الأمن ، وكانوا ثلاثة ضباط ، ضابط برتبة كبيرة ومساعداه ، فرحب بهم وأدخلهم صالة الاستقبال فقال العقيد خالد محمد : لماذا أغلق السيد الكبير الهاتف أو سقط منه ؟!

فقال ارباس : نعتذر عن ذلك.. يبدو أن الخبر كان صدمة للسيد عرفان .. وها هو الطبيب يراقبه فقال لنا قتلت مجدية وتراخى على مقعده إنه مريض بالقلب .. ما الأمر؟

فقال العقيد : وجدنا أن امرأة تدعى مجدية تقطن في حي الرسمان مقتولة .. وسمعنا من جيرانها وزوجها أن بينها وبين المدعو عرفان قضية .. وأنها تريد أن تلصق به ولدا لها .. وأنه اعترف به .. وتريد أن تشهر ذلك في المحاكم .. فوجدنا أن المصلحة الأولى في الخلاص من المرأة تتجه نحو السيد عرفان .. وهو المستفيد من قتلها .. فاتصلنا به ثم انقطع الاتصال.. وجئنا لنسمع أقواله فكل الشهود أو قل الجيران يتهمونه بالغدر بمطلقته .. ولما سألنا عن الفنزويلي رأينا أن الأمر كبير جدا وخطير .. فأحببنا أن نسمع أقواله ورده قبل اتخاذ أي إجراءات رسمية والقيام

بالتحقيق .. فأقوال الناس لا يعتد بها ما لم تثبت وتتأكد صحتها، فنريد أن نرى السيد عرفان وابن تلك المرأة المقتولة فقد قيل لنا إنه نزيل القصر.

فقال ارباس : حسنا .. هيا نصعد إلى غرفة السيد عرفان ، لعله يستطيع استقبالكم .. وأما السيد شاهر فهو في حجرته .. وسيأتي به الخدم إلينا هيا.

كان ارباس قد تعلم اللغة العربية قبل أن يعمل مع عرفان ، فقد تعلمها للعمل في إحدى السفارات العربية، وزاد معرفة بها منذ بدأ إنشاء القصر هذا ، دخل العقيد خالد ومساعدوه وأمامهم ارباس حجرة السيد عرفان الذي كان ممددا على سريره ، وقربه خادمه المخلص ، وكان ولداه سليم وعبير يجلسان على مقعدين قريبين من السرير ، والطبيب قائم بالقرب منهم ، فبعد التحية قال ارباس : يا سيدي الدكتور كيف حال السيد ؟

ـ ما زال متعبا ومتأثرا من الخبر.. وأنا أفضل أن يؤجل رجال البوليس السؤال أو الحديث معه لصباح الغد .. فللخبر وفشل الصفقة أثر كبير على قلب السيد.

فعاد ارباس يتحدث مع رجال البوليس ، ثم قال العقيد : نفهم من كلامك أن السيد عرفان أمضى مساء اليوم في القصر.

فقال ارباس : من السادسة مساء والسيد عرفان في القصر، ولم يخرج .. فلقد كنا على موعد مع صفقة تجارية مهمة . . سيد خالد.

وجاء الخادم الذي أرسله ارباس لينادي السيد شاهرا ، فقال له السكرتير عندما شاهده : أين شاهر ؟

فقال الخادم : غير موجود في حجرته .. وحرس القصر لم يروه يخرج من القصر .. فبحثت عنه في الحدائق والأجنحة فلم أجده .. فيشك بعض الخدم أنهم رأوه يقفز عن السور بعد السادسة مساء.

فقال العقيد : حسنا سيد ارباس ! نشكر لك تعاونك معنا .. ونتمنى العافية للسيد عرفان سنعود ثانية صباحا.

ـ حسنا عقيد خالد على الرحب والسعة.. أرجو أن تتحسن حالة السيد الكبير ليتمكن من مساعدتكم في الوصول للجاني.. وتتأكدون أن السيد الكبير بعيد عن الشبهة.. ولا يمكن أن يفكر بالجريمة فهي أم ولده.

لماذا قتلت ؟

تحدث عرفان مع المحامي الذي لبى الدعوة سريعا ، وكان الوكيل الآسيوي قد سافر ليلة فشل الصفقة ، وأجل عملية البيع لوقت آخر ، ولم يكترث عرفان لذلك كثيرا رغم شغفه الكبير بالجواهر، وكان الذي يهمه الجريمة التي أودت بحياة تلك المرأة ، وأحس أن له دورا في القضاء عليها، وكلف عرفان محاميه حميدا أن يتصل بمكتب التحريات للتحقيق في مقتل السيدة مجدية وكان المحامي قد قام بلقاء رجال البوليس ، وأعطاهم مختصر علاقة عرفان بمجدية ، وأعلمهم كذلك أن السيد عرفان مهتم جدا بمعرفة الجاني ، ولما كلف مكتب التحريات بالمساعدة لمعرفة الجاني ، اتصل المدير بعرفان وعرف منه الغاية من معرفة الجاني ، فبين له أن لديه إحساسا بأن لمقتل هذه المرأة علاقة به ، وأنه يريد المعلومات الكافية حول الجريمة ومتابعة تحقيق رجال الشرطة، وأن يقدم له تقريرا سريا حولها ، لا يطلع عليه أحد سواه ، فكان عرفان يخشى ممن حوله أن يكون لهم يد في الجريمة ، فقام المدير حمزات بتكليف رجل التحري الخاص سعدي أحمد ضابط شرطة سابق بمتابعة القضية ، وكان سعدي يلخص الجريمة للسيد عرفان والمحامي حميد قائلا وهم يجلسون في غرفة خاصة في القصر : الطبيب الشرعي يرى أن الجريمة قد حدثت بعد السابعة وقبل التاسعة ليلا .. ويرجح أنها كانت قريبا من الثامنة .. لأن الزوج قريبا من التاسعة أخذ ينادي على الزوجة .. فالزوج مريض وهو رجل شيخ كبير في العمر، وقد قال لرجال الأمن : أن زوجته مجدية قدمت له الدواء والعشاء حوالي السابعة مساء أو أقل بقليل ، ولما شرب الدواء أخذه النوم .. فالدواء يحتوي على مواد منومة أو تساعد على النوم ..ولما استيقظ من النوم أخذ ينادي على الزوجة .. فلم ترد فظن أنها نائمة في الغرفة الثانية.. فترك السرير رويدا رويدا، ومشى نحو الغرفة الثانية حيث توقع أنها ترقد ، فوجد الغرفة مغلقة ـ وهذا ليس من عادتهم ـ فدفع الباب فانفتح وهو ينادي على مجدية .. أضاء النور ولاحظ أنها نائمة في وسط الغرفة من غير غطاء فاستغرب ، فاقترب منها وحركها ، وهو ما زال ينادي ، فوجد أنها غارقة بالدماء ، فذهل ووقع في نفسه أنها وقعت أثناء نومه ، وسال الدم من رأسها

من شدة الصدمة .. ولكنه شاهد ولاحظ أن الدماء كثيرة ، فاتصل بابنتها سمر التي أتت مسرعة فوجدت أن أمها مقتولة برصاصات في رأسها ، فصرخت وفزع الجيران .. وكانت الساعة تزيد عن التاسعة بقليل ، فلما أتى رجال البوليس والبحث الجنائي ورجال المختبر الجنائي والتصوير .. فتحدث أحد الناس أنه رأى سيارة تقف قرب البيت من ماركة (فيات) حمراء اللون عند الساعة الثامنة تقريبا ، ولم ير أحدا من ركابها.

ولما سمع القوم الصراخ لم يروا السيارة ، والشاهد يقول : إنها سيارة حديثة ، ثم تطوع الناس بالحديث عن قصة الفنزويلي والسيدة مجدية وابنها شاهر .. والأمر الخطير أيها السادة أن السيد شاهرا اعترف للبوليس أنه قد زارها ، وكان عندها قرب الثامنة أيضا ولا يدري بالضبط ؛ ولكنه قال للشرطة بأنه ترك أهل القصر مشغولين بشراء المجوهرات ، وقفز عن السور متسللا للشارع البعيد .. وهناك أشار لسيارة مارة في تلك الساعة ، فركب معهم فنزل المدينة ودخل إحدى الحانات ، وأروى ظمئه من الخمر ، ثم ركب سيارة أجرة نحو حي الرسمان حيث تقطن أمه ، وتحدث معها بعض الوقت ، وقال إنه لم ير زوج أمه ، ثم انصرف، وعاد يبحث عن ملهى يقضي فيه ليلته ، فساقته قدماه إلى إحدى دور العرض للأفلام ، وعند نصف الليل غادر دار السينما وهو في عالم آخر ، ولما وصل القصر كان الوقت قريب الصبح ، ولكن للأسف لم يشهد أحد من أهل الحي أنه رآه يدخل بيت زوج أمه .. فشهادته تحتاج إلى دليل ، ولولا كلام الطبيب ووضعه الصحي وبلهه لوضع في دائرة المشتبه بهم.

فقال عرفان : وهل هناك مشتبه بهم ؟

فقال سعدي : لحتى الآن لا.. فالبوليس يرى أنها جريمة مدبرة ليست بنت الساعة، ولابد لها من دوافع .. وأكثر الشبهات تحوم حولكم يا سيدي مع أن تعاون محاميكم مع البوليس ، وتكليفنا بهذه المهمة حير وأربك رجال البوليس.. فأنتم مهتمون بمعرفة الجاني كرجال البوليس.

فقال عرفان بثقة : أجل ، أجل .. هل من معلومات أخرى ؟

رد الشرطي السري قائلا : دوافع الجريمة ما زالت مبهمة.. وأولاد زوجها أنكروا صلتهم بالجريمة ، بل ليس هناك دافع قوي يحفزهم للخلاص منها.. فثروة والدهم ضعيفة.. فهو يعيش على راتب تقاعد يأخذه على أثر إنهاء خدماته في جيش البلد، وهناك راتب تقاعدي آخر نتيجة عمله في إحدى شركات القطاع الخاص ،المهم أن ثروته وحرمان الزوجة منها ليست سببا كافيا الآن لارتكاب الجريمة .. وهناك إشارات لأسرة مكونة من زوج وزوجة كانت تسكن قريبا من بيتهم ـ بيت المجني عليها ـ منذ حين سكنت شهرا أو أقل ، ثم رحلت واختفت فجأة ، ثم تبين لنا أنهم يقصدون رجلنا وأهله اللذين تم تكليفهم بالاتصال بأسرة مجدية لأخذ مزيد من المعلومات .. وأخبرنا البوليس بتلك الحقيقة ؛ لأن بعضهم يشك بهم ؛ لأن ترددهم على أم سمر والجيران كان كثيرا .. وكانوا مهتمين بالسؤال عنها وعن حياتها الخاصة وولدها شاهر.. والشرطة أكدت أن أداة القتل مسدس من عيار ٣٨ ملم ولم يعثر عليه بعد ، وهم يرون أن رجلا أو شخصا واحدا هو الذي أقدم على الجريمة ، فهم لم يجدوا في الغرفة إلا آثار أقدام المقتولة وزوجها وسمر وقدم أخرى ، وساعد على ذلك أن أحد الجيران أمر بإغلاق الغرفة حتى يحضر رجال الأمن فساعد ذلك على حصر الآثار على البساط.

فقال عرفان : قد تكون آثار حذاء شاهر ؟

ـ الغريب أنها ليست آثار حذائه الذي كان يلبسه .. ويظن شاهر أنه جلس وتحدث معها في بهو الشقة.

فقال عرفان : السيد شاهر لا يعتد بأقواله.. أرى أنه ناقص الأهلية .. فهو كثير الشرود والنسيان .. ورغم العلاج الكبير الذي بذلناه نحوه فما زال ساذج الفكر عاشق للشراب .. فهو ما زال محتاجا للمعالجة والمتابعة.

فعاد سعدي يقول : المهم أن المجرم دخل البيت من غير أن يلحظه أحد ، ويبدو أنه تحدث مع السيدة ثم غدر بها .. فهي لم تقاوم ، ولم يظهر أثر عراك داخل الحجرة .. ويعتقد رجال الأمن أن القاتل الغادر استعمل كاتما للصوت أثناء الجريمة، فلم يشهد أحد من أهل الحي أو الجيران

بسماع صوت الرصاص رغم أن أهل الحي في مثل ذلك الوقت لا يخلدون للنوم .. فما زال الوقت مبكرا على النوم عند حدوث الجريمة .

فقال عرفان : عليك أن تبذل أقصى الجهد ، وأقصى الوسائل والمعرفة .. فأنا يهمني الوصول للجاني .. فكما تعلم فنحن كنا مقبلين على جلسة مهمة في حياة الشاب المدعو شاهر.

فقال سعدي بصراحة : يجب أن تتذكر يا سيدي أن أكثر الناس يهمهم موت تلك المرأة أنتم ، وكان هذا قبل موافقتكم على الاعتراف بشاهر كابن.. أما بعد ثبوت البنوة والأبوة فحياتها تهمكم شخصيا للقسم أمام القضاة.. فإذا كان دافع القتل الحاق شاهر فالشبهة تحوم حولكم أنت وأولادك ومرافقوك.

فقال عرفان بانبهار : أنا أعرف ذلك !.. ومن أجل ذلك كلفتكم بجمع أكبر قدر من المعلومات والتحقيقات عن الموضوع .. فأنا أخشى أن يكون لأولادي ومرافقيّ يد في هذه الجريمة .. فهذا أمر خطير وقاس على القلب .. ولكني لا أرى في أولادي هذه القسوة التي تدفعهم للخوف على ثروتهم ، والتفكير بالجريمة لمنع بضعة ملايين عن أحدهم ، فهم كثر بفضل الله .. ولكن جشع ابن آدم عجيب ومخيف ، وسليم ابني الموجود هنا هذه أول رحلة له منذ جئت للبلاد منذ عشر سنوات رغم معرفته أنها مسقط رأسي وبلد أبي وجدي وأمي .. وهو شاب صغير لم يبلغ الخامسة والعشرين بعد .. وكذلك عبير فهي أول مرة ترافقني للثعبانية ، وأحبوا مرافقتي خوفا على حياتي وصحتي وموتي .. ولكن عليك أن تتابع حركاتهم منذ وصلنا قبل أسبوعين، وكذلك كل من حولي .. أنا تهمني نظافة الجميع يا مقدم سعدي.

فقال سعدي : أرجو أن تخيب الظنون يا سيد عرفان وأن يكون المجرم من خارج الأسرة والقصر فأنت رجل طيب!

فقال عرفان القلق المنهار: ولكن من يكون له مصلحة في قتلها بهذه الطريقة القاسية والجريمة المدبرة .. ماذا عندها ؟!

فقال سعدي : رغم المعلومات الكثيرة عن السيدة مجدية التي قام بها مكتبنا الخاص ، وتحرينا

عنها ، فلم نجد دافعا قويا يؤدي لمقتلها ، وحتى لو اتجهنا إليكم فليس هنا بالدافع الخطير الذي يؤدي إلى هذه الجريمة .. ولكن هل هناك صلة بين الجوهرة التي كنتم ترغبون بشرائها واختيار يوم مقتل المرأة ؟! بل لماذا فشلت صفقة الشراء ؟

فقال عرفان : لقد فكرت بكل ذلك ؛ ولكني لم أجد صلة ، ولم أصل لشيء لحتى الآن .. إنني الآن متعب جدا سأدخل غرفتي .. ولنكن على اتصال دقيق وسري يا سعدي.. هذا الجريمة أمر خطير .. خطير أيها السادة .. القصر تحت تحقيقاتك أستاذ سعدي تهمني الحقيقة كما تهم العدالة.

فقال سعدي : شكرا سيدي العزيز ، وأرجو أن نكون عند حسن ظنك وثقتك بنا

ولما انصرفا دخل الدكتور والخادم وقادوا السيد عرفان إلى حجرته ومنامه، وتناول بعض الأدوية وأقراص النوم ، وظل في سريره حتى هبط الليل ، فدخل الحمام واغتسل ، ثم نزل الحديقة حيث يحلو له السهر ، ولما استراح أرسل وراء ولده شاهر فعزاه بأمه ، ثم قال : لماذا ذهبت لأمك ذاك المساء يا شاهر ؟! .. هل أحد دفعك لتلك الزيارة ؟ بل لماذا خرجت من القصر تلك الليلة وبتلك الطريقة السيئة ؟ .. هذا تصرف اللصوص والجهال أنسيت نفسك وابن من أنت الآن ؟

فقال شاهر : سأقول لك شيئا يا سيدي لم أقله للبوليس.

فقال عرفان : تكلم يا ولدي .. ما هو الشيء الذي لم تقله للبوليس ؟

فقال بارتباك : يا سيدي الكبير ! .. تلقيت هاتفا مساء ذلك اليوم من أحد الأشخاص ادعى فيه أنه صاحبي ، وطلب مني زيارة والدتي ، وأخبرني أنها مريضة ومتعبة وتريدني ، وصدقته ، وهو الذي قال لي لا تخرج من الباب الرئيسي فقد يمنعك الحرس لانشغالهم بشراء الجوهرة الليلة فصدقته ، وخرجت متخفيا وتسللت داخل غابة القصر ثم قفزت عن الجدار ثم نزلت المدينة ، فقلت أروي حلقي وظمئي من الشراب ، ثم أمضي لزيارة أمي .. فقصة هذا الاتصال المريب هو الذي دفعني للخروج بتلك الطريقة وزيارة أمي تلك الليلة.

فقال عرفان المستغرب لهذا الاعتراف : أحق هذا يا شاهر أم خيالك يوحي إليك بذلك ؟! ولماذا أخفيت أمر هذا الاتصال عن البوليس ؟!

فقال بخوف : إنني لا أثق بهم .. وسينهالون عليّ بكثير من الأسئلة.

ـ يا ولدي .. الضحية والمقتولة أمك .. يجب أن نعرف الجاني يا ولدي ..أنت الخاسر الأكبر في هذه الجريمة .. نحن كنا على وشك الاعتراف بك رسميا .. وهذا الآن تعطل ويحتاج إلى جهد كبير.. وقد لا ينجح .. ولكننا سنستغل هذه الجريمة لإعادة نسبك إلينا رغم تعقد الأمر.

فقال شاهر بحيرة : أنا مذهول مما جرى !.. ولماذا قتلت أمي الآن ؟!

ـ عليك أن تتعاون مع الشرطة تعاونا أكبر وجادا يا شاهر .. فالأمر مهم وعلينا المساعدة للوصول لليد الآثمة.

ولما انصرف شاهر من عنده أغمض عرفان عينيه ، وقد تمدد على الكرسي الكبير ، وأخذ يفكر بالعلاقة بين قتل هذه المرأة وصفقة المجوهرات ، ويتسأل هل كان يوم مقتل مجدية وصفقة الجوهرة صدفة ؟ ثم قال : أنا الذي حددت يوم اللقاء مع ذلك الآسيوي الغامض .. وهل حقا الجوهرة البيضاء مزورة ؟ وما أدرى ماريو بذلك التزييف؟! ولكن ماريو رجل رحلات وخبير في أخبار المجوهرات .. ولماذا اعتذر عن المجيء معي لمشاهدة هذه الصفقة ؟! فهو من النادر أن يتخلف عن السفر معي لشراء جوهرة أو تحفة نادرة من الأحجار الكريمة .. ولكن ما دخله في مصرع مجدية ؟ لماذا صرعت بهذه الرصاصات الثلاثة ؟ ومن يكون القاتل الخفي يا عرفان؟ أرى علة قلبي لا تساعدني بدراسة هذه المأساة .. ولكن عليّ أن أحاول .. مصيبة كبرى لو كان للأولاد يد في هذه الجريمة .. ولكن لماذا يقتلون؟ .. ماذا يستفيدون من منع إجراء النسب ؟ ..فقد ثبت مليون في المائة أن شاهرا من صلبي .. البصمة الوراثية والجينات أثبتت ذلك.. وأيمان مجدية وإصرارها على هذه الحقيقة ..عبير فتاة طيبة وشابة صغيرة وأم طفلين .. وسليم صحيح أنه شرس وعنيد ؛ ولكنه أخ من عشرة فلا يضره زيادتهم واحدا آخر، والثروة كبيرة بحمد الله وفضله .. وكل له مشاريعه الخاصة .. لا أدري الآن ماذا يستفيدون من هذه الجناية الرهيبة ؟!

.. الجوهرة والمقتولة .. هل من صلة أيها الإنسان بينهما ؟ يا ترى هل سيصل رجال البوليس لشيء يريح القلب ويعيد الصفاء له ؟ لا أظن ما داموا لم يجدوا أدلة في مسرح الجريمة ، وحتى المسدس لم يظهر .. لابد من معرفة المجرم ولو دفعت نصف ثروتي ، بل ثروتي كلها ! لماذا حدثت هذه الجريمة ؟! فالقاتل مجرم لعين ثلاث رصاصات في الرأس .. ولكنها كانت عن قرب فماتت على الفور قبل أن تصرخ بأي صرخة الوضع لا يحتاج لقاتل محترف .. الزوج لم يسمع صوت الرصاص .. فللرصاص أزيز رغم وجود كاتم الصوت.. ولكنه كان مستغرقا في النوم من الأدوية .. أعود وأقول الجوهرة ومجدية وفتح عينيه بعد هذه الرحلة، فوجد الخادم ينظر إليه باستغراب وقال : ظننت سيدي نائما ! ولما سمعت بعض تمتمتك أدركت أنك مستيقظ.

فقال عرفان : لا تقلق يا صاحبي كنت أفكر والتفكير متعب للقلب والبدن .. هل من شيء ؟

ـ لا .. ظننت أن ألما ألم بك ، فكدت أن أتصل بالطبيب ليحضر .. ولما أدركت تمتماتك صبرت نفسي.

وفجأة قال عرفان وبدون مقدمات : لويس الأمين .. هل ترى من خائن في القصر ؟

حملق الخادم في وجه سيده وقال : سيدي ماذا قلت ؟!

فقال عرفان : لا تندهش فالمرأة المقتولة كانت على وشك الاعتراف أمام القضاة بجريمتها .. وكانت الجلسة ستعقد قريبا ، بعدما تتم صفقة شراء الألماسة الآسيوية

فكر الخادم العجوز ثم قال: الأمر صعب على الذهن.. لماذا يقتلون تلك المسكينة؟

أرى يا سيدي أن لهذه المرأة أعداء وخصوما .. لا أظن أن أحدا من نزلاء هذا القصر قد تضايق منها أو فكر بقتلها بهذه الطريقة الدرامية .. فإجراءات إعادة اسمكم إلى الابن قائمة والأوراق لن تغير الحقيقة .. فالحق أن الولد هو ابنكم، وإنما هذه الأوراق للرعاية والحماية والحقوق .. فهل يعني موتها أنك ستنفي الولد عنك فما قيل قد قيل ؟!

فقال عرفان : هذا صحيح يا لويس الطيب .. ولماذا قتلت إذن؟!

فقال الخادم : لابد أن لها أعداء يا سيدي.

فقال عرفان : سوف نرى ما يفعله رجال البوليس العام والخاص .. هيا بنا ندخل القصر .. هل اتصل ارباس بكاراكاس وأخبرهم أننا سنتأخر لظروف معينة ؟

ـ أظنه فعل يا سيدي.



الجريمة الثانية

قام السيد عرفان بزيارة مكتب التحقيقات الخاص بنفسه ، والتقى بالمدير العام للشركة ، وطلب الحديث بعد ذلك مع المقدم الشرطي المتقاعد سعدي أحمد ، ولما انفردا في أحد مكاتب الشركة قال السيد عرفان : ماذا أسفرت تحقيقات البوليس يا سيد سعدي ؟

رد سعدي : نحن نتعاون بشكل وثيق.. والبوليس وضع البيت تحت المراقبة الخفية، والمعلومات التي أدلى بها ولدك شاهر بناء على نصيحتك أثارت شهية رجال الأمن .. فهذا يشير إلى تأكيد أن الجريمة مدبرة ومخطط لها ، ودفع السيد شاهر لمسرح الجريمة لغاية الآن غير واضح.. لماذا دفعه المجرم أو المجرمون لمكان الجريمة؟! فهم يحاولون معرفة مصدر الاتصال ، ومن هو الصديق الذي دفعه لهذه الزيارة ؟ .. فقد أنكر زوجها وبناتها أن أمهن مرضت ذلك اليوم .. والمشكلة أن أقوال شاهر تربك التحقيق.

فقال عرفان : أعتقد أن كلامه صادق رغم ما به من خبل .. فشاهر سبب ضعف عقله ودماغه ظروف الحياة التي عصفت به منذ الصغر .. الوحدة والسجن والخمر والانحراف والفقر وعدم الزواج وعدم تحمل المسئوليات ، فكل ذلك أثر على ذهنه وفكره.

فقال سعدي : تقرير الطب الشرعي لا إثارة فيه ، ولا جديد ، فالرماية كانت عن قرب لا يفصل بين رأس المجني عليها وفوهة المسدس أكثر من نصف متر .. والرصاصة الأولى كانت القاتلة.. والبصمات لا يوجد بصمات غريبة عمن يتصل بالأسرة ، ولا يوجد سرقة في البيت .. والسيارة التي شوهدت ليلة الجريمة تقف قرب البيت من الصعب العثور عليها من غير أن يعرف أرقامها أو إمارات معينة تدل عليها .. الشاهد ذكر الماركة واللون .. وربما لا علاقة لها بالجريمة .. وأكثر الجيران لا يعرفون عنها شيئا لم يشاهدوها أو أنهم تستروا عليها .. فالجريمة ليست بسيطة .. وبالنسبة لأفراد أسرتك يا سيدي فقد تحدثت مع الخدم عن تحركات الجميع يوم الحادث ..وقد استعنت بسكرتيرك ارباس فليس لديهم معلومات دقيقة ، فحوالي الساعة الثامنة لم يكن ولداك في القصر ، ولا حتى السكرتير ارباس ، فقد قيل إنه ذهب لإحضار الوكيل

الآسيوي تاجر الجواهر ، وعلمت من أبنائك أنهما كانا في جولة في وسط المدينة ، وهما لا يعرفان تلك المرأة .. وإنما لمحاها مرة تتحدث معك .. والطبيب لم يغادر القصر ، والحرس بعضهم كان في القصر ، وبعضهم ذهب مع ارباس .. فمن الصعب الاشتباه بأحد من داخل القصر يا سيد عرفان.

فقال عرفان : وأنا معك في كل ذلك .. فما دام الشخص غير متهم فلا تستطيع إجباره على ذكر شهوده أثناء تلك الساعات الرهيبة ، الاشتباه يحتاج إلى دليل أو شبه دليل .. وماذا سيفعل رجال الشرطة في هذه القضية الغامضة ؟

تنهد المحقق سعدي بعمق وقال : الشرطة ستظل تتابع القضية ، حتى وإن أغلق ملفها وقيدت ضد مجهول.

فعاد عرفان القلق يسأل : سيد سعدي مجمل تحرياتك وانطباعاتك داخل القصر وسماع أقوالهم هل تشك في شيء في شخص ؟!

هز سعدي رأسه وقال : لم يتكون لديّ أي انطباع سيئ يا سيدي .. بل دهشوا للحديث معهم حول الجريمة .. فأخبرتهم بصراحة أن هذه رغبتك لأن البوليس والشرطة يشكون بهم .. فأدلوا بأقوالهم ببرود ومن غير اهتمام بالقضية.. وهم مستغربون لاتصال البوليس معك .. ولكن ارباس شرح لهم تعقيدات الموضوع؛ فكأنهم تفهموا الوضع وقبلوا الحديث معي ، وأجابوا على أسئلتي .. والمشكلة يا سيدي أن الأسئلة وحدها أحيانا لا تكفي ؛ لأن دافع الجريمة غير واضح للجميع .. فليس لدى السيدة مجدية أموال تدفع اللصوص والمجرمين لقتلها ، وليس لديها ثروة تدفع أحد الورثة للتعجيل في موتها .. نقطة الضعف الوحيدة التي تثير القضية هي علاقتها بكم وهي علاقة واضحة .. امرأة كانت في يوم من الأيام زوجة لك ، فحملت رغم أنفها منك ، وأخفت ذلك في أول الطلاق لأسباب ودوافع شخصية بها ، وتزوجت ممن رضي أن يشاركها في إخفاء الجرم ، ولما انتشر خبر موتك ظل السر حبيس الصدور حتى ظهرت على حياتهم من جديد ، وقد بذلت كل الجهود لرفض الاعتراف بالمولود ؛ ولكنك أمام حقائق

الواقع والتحليل الطبي استسلمت للأمر، والكل يعرف الآن أن شاهرا ابنك سواء دون ذلك في ورق رسمي أم لا.. فقتل المرأة لا يمنع تصحيح الخطأ.. فلماذا تقتل هذه المرأة ؟! فالحقيقة معروفة .. والمحامي حميد قد أخذ شهادة وتوقيع مجدية منذ زمن من العام الماضي .. وهي تقر بكامل قواها العقلية بأن شاهرا ولدك وأن كل المعلومات الموجودة حقيقية .. وهذا التوقيع وظروف الجريمة تدفع القضاة إلى قبول اعترافها.. ونزع اسم جاسم عن شاهر ووضع اسمك مكانه.. ومن ثم إنشاء الأوراق الرسمية له .. فقتلها لن يلغي هذه الإجراء.. إذا كان هناك شخص يسعى لتعطيلها .. فقط ربما تتأخر وحسب.

فعاد عرفان يردد بحيرة : إذن لماذا قتلت ؟! إن لم نكن نحن السبب .

ـ إنني أتتبع الأخبار والإشاعات ، وأجلس في الحي متنكرا ، وقد استأجرت حجرة صغيرة في إحدى العمارات على أنني عامل مغترب ، وبعد حين سأختلط بالجيران وأصحاب الحوانيت والبقالات.. ولابد من الوصول لشيء.

نهض عرفان ثم قال : على كل حال تابع جهودك وخطتك .. وقد رحل خبيرا المجوهرات صباح اليوم ، والأولاد يفكرون بالسفر.. وما داموا ليسوا في محل اشتباه سآذن لهم بالرحيل قريبا يا سيدي ..وسأطلعك على سر وهو أنني سأكلف شركات تحريات أوروبية للتحري عن قصة الجوهرة المقلدة التي كادوا أن يبيعوني إياها رغم خبراء المجوهرات الذين جلبتهم معي

ـ لعلهم صادقون ومنافسوك أرادوا إفساد الصفقة والتشويش عليك؟

ـ تأملت ذلك .. وماريو الذي اتصل وحذرني صديقي قديما .. ونحن هواة في هذه الرغبة .. وسفر الآسيوي السريع أكد لي ذلك التلاعب ففي نفس ليلة فشل الصفقة سافر.

ـ الآسيوي فكر بالرحيل بعد وصوله الفندق ؛ لعله تلقى اتصالا خطيرا فعجل بالرحيل .. وطالبوا هذه التحفة يهمهم إفساد الصفقة فخشي خطرا ما!

فقال عرفان : المهم أن المكتب الذي سأسافر إليه خلال اليومين القادمين سيقوم بالتأكد من المعلومات التي وصلتني .. وبعدها يكون لكل حادث حديث .. فروسي خبير كبير وقد غضب

مني .. ولكن وسائل الخداع والتزييف كثيرة هذه الأيام .. فيمكن خداع أجهزة الفحص بحيل رهيبة.. فتابع تفتيشك أيها المفتش ودعنا نظل على اتصال .. فقد بدأت بعض الصحف تغمز بي وتتسلى على مأساتي

وتصافح الرجلان ، وسار سعدي مع السيد عرفان حتى ركب المصعد ، ثم خرج من البناية ، فوجد السائق ينتظره فركب وانطلقا للقصر.

ولما تناول السيد عرفان العشاء ، وبلع أقراص الدواء ، وجلس يشرب الشاي مشروبه المفضل، خاطبه ارباس السكرتير فقال : مساء الخير يا سيدي فقبل الحديث عن اتصالات اليوم وأخبار العمل .. اتصلت بكم أختكم الفاضلة أمينة من قبل ساعات ثلاث.. ولما أخبرتها بخروجك ، قالت : فليتحدث معنا عندما يعود.

فقال عرفان وهو يضع الكوب الفارغ على المنضدة الصغيرة : ولم تقل ماذا تريد؟!

ـ لا يا سيدي.

ـ اضرب رقم بيتها يا ارباس.

ونهض السكرتير للاتصال ببيت السيدة أمينة ، فأجابه الدكتور أحمد ابنها البكر، فطلب أمه للحديث مع السيد عرفان ، ولما حضرت على الهاتف أعطى ارباس السماعة لعرفان الذي حيا ثم قال : نعم ، يا أمينة .. لماذا تبكين ؟! .. ماذا ؟! .. وكيف لم تخبروني .. إنني قادم ؟!

ووضع الهاتف والتفت لارباس ، وقال بغصة وحزن وانخطاف : ماذا حدث في هذه الدنيا يا ارباس .. ؟! أخبر السائق والطبيب والحارس بلانكا بالاستعداد للخروج.

فقال ارباس باستغراب: ما الأمر يا سيدي أثرت الهلع في نفسي ؟!

فتنهد عرفان وقال بحزن عميق : جريمة أخرى يا ارباس!! ..ماذا جرى في هذه الدنيا!

ـ جريمة .. جريمة قتل أخرى ؟!

ـ تقول أن البوليس عثر على جثة حفيدتها مريم قبل ساعات.. وقد نقلوها للمشرحة .. هيا!

أسرع ارباس ، وأيقظ السائق الخاص والطبيب والحارس وهو يردد : قبل أسبوع قتلت

مطلقته ..واليوم ابنة ابن أخته ؟!

ولما وصل عرفان لبيت أمينة وجد البيت مكتظا بالناس والأقارب والمعارف والجيران ، ومشاعر الحزن والخوف مرسومة وواضحة على الوجوه .. فاندفع نحو الدكتور أحمد الذي تقبل تعازيه بحرارة ودموع وشكر وهو يقول : قتلوها يا خالي! قتلوها خنقا بشال تضعه حول عنقها .. أمي في الداخل.

عزى عرفان جميع الحاضرين وأم مريم وإخوتها وأخواتها وأقارب زوج أخته أمينة، والتقى أمينة وهو يقول : صبرك الله يا أمينة .. وعظم الله أجرك.

ولما سمع كلمات الرد على عزائه عاد يقول: كيف حدثت الجريمة يا أمينة ؟!

فأخذت أمينة أخاها إلى حجرة خاصة، وأغلقت الباب، ولما جلسا قالت وهي تمسح ما تبقى على وجهها من دموع : والله يا أخي .. لها أسبوع كئيبة حزينة مرهقة ! لا أحد يدري السبب سبب ذلك الألم .. كانت تذهب للكلية بسيارة أخيها .. ويقول لا تتكلم أثناء الطريق إلا إجابة عن سؤال وترد باقتضاب .. وظننّا أن ذلك من تأثير المحاضرات والاختبارات.. ونقول فترة قصيرة وحالة نفسية وتزول وكانت تعود مع المساء .. وعندما نسألها ترد بغضب وضيق فندعها .. وهذا الصباح لم تذهب للجامعة ، وادعت لوالدها صباحا أنها مريضة ، فقام بفحصها فوجد عندها بعض الحرارة .. ولم يحاول الضغط عليها بالأسئلة ، وأحس أنها تعاني من مشكلة ما في الجامعة .. فتركها على راحتها .. وقد اتصل منذ أيام ببعض معارفها وزملائها فلم يفيدوه بشيء بل قالوا : إنها طبيعية جدا .. وعند الساعة الحادية عشرة قبل الظهر رن جرس الهاتف .. فرددت عليه بنفسي.. فسمعت صوت فتاة تطلب مريم فأتت مريم وسمعتها تتحدث آ.. نعم .. لا.. ثم دخلت غرفتها ولبست ثيابها وقالت لي : إني ذاهبة في مشوار يا جدتي العزيزة .. ولا تقلقوا عليّ إذا تأخرت .. وخرجت ولم تقل لي من هي التي تحدثت معها .. فاتصلت بأحمد وأخبرته بخروجها ، وأظهرت قلقي وخوفي عليها .. فقال : دعيها يا أمي .. فمريم ليست صغيرة وها هي في سنة خامسة طب ..

فوضعت السماعة وأنا أفكر بذلك الهاتف الذي عجل بخروجها ، مع أنها رفضت الذهاب للجامعة ، وفي الرابعة بعد الظهر جاءت سيارة شرطة ، وسألوا عن والد مريم ، وظننّا أن حادثا قد جرى لها ، فردت أمها التي عادت من عملها في المستشفى قبل ساعة : ما الأمر؟

فقال رجل الشرطة : نريد والد الآنسة مريم ؟

فقالت الأم بلوعة وقلق قاتل : ما الأمر يا حضرة الضابط فأنا أمها ؟!

فقال بصراحة : قد وجدت الفتاة مخنوقة في غابة الأندلس.

فقالت أمها : ميتة ؟!

رد الشرطي بنـعم ، فصرخنا ، واتصل أحد الأولاد بأبيه ، وذهبوا مع البوليس إلى المستشفى ، وشاهدوا الجثة ، وتعرفوا على الفتاة.. فكانت جثة مريم ، وكانت بطاقتها الخاصة قد وجدت في حقيبتها ، وكذلك بطاقة الجامعة ، فساعد ذلك على الوصول إلينا بسرعة والتـعرف على مريم ففقدنا الصواب وذعرنا للحادث الرهيب، وأغمي عليّ طبعا ، ولما استيقظت اتصلت بك لأخبرك بالقصة والحادثة المروعة يا أخي .. وهذه هي مصيبتنا.

فقال عرفان وكله حزن وأسى : إنا لله وإنا إليه راجعون .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. فتاة جميلة ناعمة يصيبها هذا الأمر .. تخنق في ريعان الشباب ! ما أقسى هؤلاء المجرمون ! .. والويل لهم من غضب الله ! .. الويل لهم .. ألهمكم الله الصبر والسلوان .. فماذا يقول البوليس عن الجريمة؟

فقالت أمينة وقد عادت تمسح دموعها وتتنهد بحزن وألم : غدا سنستلم الجثة لنقوم بمواراتها في التراب . والشرطة لم تقل شيئا بعد .. سيسمعون أقوالنا قريبا .. وأخذوا أسماء معارف مريم في الجامعة .. ولا أعلم إذا أخبروا أحمد بشيء آخر .. المهم أن مريم ماتت ..إنا لله وإنا إليه راجعون!

ـ تصبري يا أختاه .. ولابد أن يصلوا للجاني الأثيم ـ لعنه الله ـ الغادر.. تصبري يا أمينة يا أم أحمد..

ولما عاد عرفان للقصر كان في غاية التعب البدني والنفسي .. وإن حاول أن يتظاهر بالثبات والصبر أمام أخته وأولادها ، وقد داخله إحساس مرة أخرى أن له علاقة أيضا بهذه الجريمة علاقة غامضة ، فقال هامسا : مجدية قتلت ولم يعرف الجناة أو الجاني لاتصالها بي.. وأخشى أن تكون هذه الفتاة قتلت أيضا لاتصالها بي ؛ ولكن كيف ؟! ماذا دهى القوم ؟! أين الشرطة ؟! أين الأمن ؟! كنت أظن أن جرائم القتل فقط هناك في بلاد الغرب والأمريكان.. إيه ، فالشر في كل مكان على وجه هذه المعمورة .. سنرى ماذا سيفعل البوليس في هذه الجريمة الجديدة ؟ .. غدا صباحا سأدفع الأولاد للسفر .. ثم أسافر للنمسا لتكليف سيمون برفاري بمتابعة قصة الجوهرة اللعينة.

في الصباح كانت الصحف المحلية تتحدث عن مقتل فتاة الجامعة ، وكان فيها بعض التفاصيل ولم تزد عما سمعه من أخته أمينة .. وجد أحد حراس الغابة الفتاة ملاقاة على الأرض عند إحدى الأشجار .. لم يشاهد بوابو البوابة الرئيسية وحرسها دخول الفتاة .. وهناك ثغرات وفتحات كثيرة في الأسلاك الشائكة المحيطة بالغابة يستخدمها الناس للولوج إلى المتنزه.. وأيام النزهات تقف سيارات كثيرة خارج الشيك الحديدي ويدخلون من تلك الفتحات ، ولم يشاهد أي حارس أي سيارة تقف ذلك اليوم الحار قرب الشيك.. ربما وقفت بعيدة عنه أو لم تأت الفتاة وقاتلها بسيارة خاصة .. وجد الحارس المتجول الفتاة مطروحة على الأرض ، فلما اقترب منها وجدها مزرقة الوجه ، فأبلغ أمن الغابة على الفور فحضروا .. وتم إبلاغ الشرطة التي قامت بالإجراءات اللازمة.. هكذا اكتشفت الجريمة ، والتحقيق جار في ملابساتها وفك ألغازها وأسرارها ..

وتعد الجريدة قراءها بمتابعة تحقيقات رجال الأمن في كشف المجرم الذي تسبب في قتل هذه الفتاة البريئة الطيبة الطالبة في كلية الطب في الجامعة ، وعلقت إحدى الصحف قائلة المجرم الذكي يعرف أين يسوق ضحيته ؟ ومتى يخنقها ؟ فهو يعرف المكان جيدا ، ويدل على ذلك اختيار موقع خنق الفتاة وثانيا معرفته بخلو المكان في مثل هذا الوقت من المشاة ، وشدة الحر في

ذلك النهار تساعد الناس على ترك التنزه في ساعات الظهيرة .. فرحم الله مريم الفتاة الشهيدة .. ضحية العتاة والمجرمين.

ولما انتهى السيد عرفان من قراءة الصحف أخبر ولديه برغبته بالسفر إلى أوروبا وإلى النمسا بالذات بضعة أيام ، ورغبهم وحثهم على العودة إلى كاراكاس، وأنه سيعود إلى هنا بعد زيارة فينا لمتابعة هاتين الجريمتين ، وإتمام إجراءات إلحاق ولده شاهر باسمه رسميا ، وقد حاول الأولاد منعه من السفر إلى النمسا ، وحثوه على نسيان قصة الجوهرة والاهتمام بصحته ، فصمم وأقسم على السفر بنفسه، فأوصيا ارباس وطبيبه الخاص عليه ، وأخذا بالاستعداد للعودة إلى كاراكاس ، فحجزا تذكرتين إلى القاهرة المصرية ، ومنها إلى فنزويلا الأمريكية.



مشتبه به

سافر السيد عرفان ومرافقوه إلى النمسا وإلى صاحبه سيمون برفاري رئيس أو مدير شركة أمنية هناك ، وحدثه بقصة الجوهرة الآسيوية ، وبعد حديث طويل أخذه سيمون إلى شركة مهتمة بشراء الجواهر، وتحدث سيمون مع مالكها بقصة جوهرة عرفان ، ولما انتهى من الكلام رحب التاجر بعرفان ، وعرض عليه شراء مجموعته من الجواهر ، فشرح عرفان وجهة نظره وغرامه بالجواهر والأحجار الكريمة ، وعاد التاجر يتحدث عن الجوهرة الآسيوية ، وذكر أنه سافر لسنغافورة وقابل الوكيل الآسيوي ، ورأى الجوهرة وحاول شراءها قبل أن يعرف بها السيد عرفان ، وبين له أنه لم يتفق مع وكيلها ولا حتى مع الورثة ، فقد طلبوا مبلغا كبيرا لا تستحقه ، ثم علم أنها ستباع إلى رجل من كاراكاس من أمريكا اللاتينية ، ثم أكد له أن الخبير روسي لا يمكن أن ينطلي عليه التزوير ، وكان يرى أن الاتصال جرى للتشويش على بيع الصفقة ، وأكد له التاجر أن له منافسين رغبوا بإفشال عملية البيع ، ولما أخذ عرفان يدافع عن صديقه ماريو وصداقته القديمة قال التاجر : قد لا يكون ماريو هو الذي تحدث معك حقيقة.

فنظر عرفان لارباس الذي قال بدوره وهو ينظر للسيد عرفان بحيرة وقلق: ماريو!.. نعم ، ذكر لي أنه السيد ماريو صاحب حضرتكم .. وأنت لما تكلمت معه ألم تتحقق من لهجته ؟!

لم يرد عرفان بسرعة ، بل أغمض عينيه وحرك رأسه عدة مرات ثم قال : إنه ماريو ! سلم وتحدث عن الجوهرة .. فأخبرني عن التزييف والتزوير المتقن .. فشككت أن روسي متأمر معهم ، وقد دفعوا له مالا .. فأحببت أن آتي بها إلى هنا لنزداد يقينا .. والحق أن روسي دافع عن نفسه بحدة .. والآسيوي امتنع عن السفر إلى هنا فزاد شكي في الأمر .. وقد لا يكون الصوت صوت ماريو كان هناك بعض التشويش يا ارباس!

فقال التاجر: اتصل بماريو ، وتأكد أنه هو الذي تحدث معك وكيف عرف بالتزوير ؟ ووقت البيع ؟.. والآسيوي رفض السفر إلى أوروبا خشية من عصابات المجوهرات ولصوصها ، فالشرق الأوسط آمن في مثل هذه الصفقات .. فالعصابات المنظمة ضعيفة فيه ، وقد يكون معه

تعليمات ألا يسافر إلى أوروبا، وإذا كنت ما زلت راغبا في شرائها سأرتب لك رحلة إلى تلك البلاد ٠

فقال عرفان : إنني متردد الآن جدا في شرائها ؛ فإني أمرّ بظروف مرعبة ، وإذا فكرت ثانية بالحصول عليها سيكون بيني وبينك لقاء آخر.

وغادر الرجال المتجر، ولما دخلوا الفندق طلب عرفان من سكرتيره المخلص ارباس أن يطلب له السيد ماريو ، وأعطاه عدة أرقام خاصة ، فقد جعله التاجر النمساوي يتشكك في صوت رفيقه ماريو، ولما تحدث عرفان مع ماريو دهش لإنكار ماريو لذلك الاتصال ، فشكره ، وأدرك أنه كان ضحية لعبة ، وعادت الحيرة والشك لأفكار وعقل عرفان ويتسأل أمام ارباس : أمعقول أن يخدعني سمعي وذاكرتي يا ارباس ؟!

فقال ارباس معللا ما حدث : لم يخدعك سمعك ..ولكني لما قلت لك السيد ماريو على الخط كما أخبرني غلب على ظنك أنه ماريو .. فتعاملت معه على أنه صاحبك ماريو.. وأنا الآن أشك بأنه ماريو.. فقد كان على الخط تشويش أعتقد أنه مفتعل، وكذلك للوضع النفسي الذي كنا فيه لم نحاول التدقيق في سر المكالمة .. ولكن السؤال المهم يا سيدي .. من الذي يريد إفشال الصفقة الهامة ؟! .. هذا ما يجب أن نفكر فيه!

فقال عرفان : صدقت ، هذا ما يجب أن نفكر فيه .. مكر بنا .. للحقيقة نحن لم نتعامل مع هذه الصفقة بالسرية التامة .. السرية المطلوبة .. فكل الخدم والعاملين في القصر كانوا على علم بقصة الجوهرة حتى شاهر الجاهل الساذج عندما فارق القصر استغل توتر وقلق صفقة الجوهرة .. حتى قاتل أم شاهر استغل ذلك المساء ليرتكب جريمته ، ويحرض شاهرا بالخروج لانشغالنا بشراء الجوهرة .. هذا لغز يا ارباس علينا معرفة حله .. علينا أن نحاول معرفة الساعين لإفشال عملية البيع .. وكذلك من المتصل تلك الليلة ؟ هل هو من مصدر داخلي أو خارجي؟ .. فالسيد سعدي ضابط التحقيق الخاص سوف يساعدك في معرفة ذلك بواسطة شركات الاتصالات.. من التاريخ والوقت بالضبط وسوف تعرفون مصدر الاتصال ..

فنحن لم نبعد كثيرا عن عشرة مايو.

فقال ارباس : متى تعود إذن يا سيد عرفان ؟

فقال عرفان : نهاية الأسبوع .. نريح أعصابنا من جرائم الثعبانية بضعة أيام .. يبدو يا ارباس أنني دخلت في الشيخوخة المبكرة مع أنني لم أتجاوز السبعين سنة بعد .. لم أعد أعرف صوت ماريو ؟!

وأمضى السيد عرفان وسكرتيره وطبيبه وخادمه وحارسه رحلة هادئة في ربوع النمسا والدانوب.. ووصلوا القصر ليلا ، فتناول عرفان الدواء ، وحبات المنوم ، ورقد في فراشه حتى الصباح.



دخل السيد ارباس مكتبه واجتمع بمدير القصر أو قيم القصر ، واستمع منه عن الاتصالات التي دارت خلال الأسبوع المنصرم ، ثم اطلع على البريد القادم من جهات مختلفة ، ثم أجرى اتصالا مع السيدة أمينة بناء على رغبة السيد عرفان وعلم منها أن البوليس ما زال يتحرى ويتابع رفاق وزملاء مريم في الجامعة ، وأكثر الشبهات تحوم حول زميلها جرير ، ولكنهم لحتى الآن لم يثبتوا عليه شيء، فشكرها ارباس، وطمأنها على أخيها ، وأنه في الصباح قد يتحدث معهم أو يزورهم.

لما أصبح الصباح ، وتناول عرفان ناصر طعام الإفطار كالعادة شرح له ارباس سير العمل هناك وهنا ، واعلمه أنه تكلم مع السيد سعدي لمراجعة شركة الاتصال ومعرفة مصدر الاتصال ليلة العاشر من مايو ، ولما سأله عن أخته قال ارباس : كلمتها ليلة أمس ، وأخبرتني السيدة الفاضلة أخت حضرتكم بأن البوليس يشتبه بشخص اسمه جرير.

فهتف عرفان وهو يترك كوب الشاي من يده : جرير .. من جرير؟!

فابتسم ارباس وقال : لا أعلم ؛ ولكنه كما يبدو من كلامها زميل لها في الجامعة.

فقال عرفان بتعجب: أيضا زميل لها في الجامعة ! .. ارباس سوف أتحدث معها بعد قليل .. وأعرف من جرير هذا ؟.. إنني ـ يا ارباس ـ أذكر أنني سمعت هذا الاسم قبل هذه المرة .. جرير!

ـ كيف ؟!

فقال عرفان : هذا شاب قريب لنا.. أنا لي إخوه من أبي.. أربعة ذكور وابنتان ، وكلهم أكبر مني ومن أختي أمينة ، ولما ماتت أمي قديما هجروننا ونسوننا .. ولما هاجرت للغرب لم أعد أفطن لهم ، فقد كان يهمني فقط أختي أمينة.. ولي أخت من هؤلاء الستة اسمها أسمهان .. فجرير هذا حفيدها.. لما دخلت الضحية مريم ـ رحمها الله ـ الجامعة ، التقت به ، وجرى بينهم ما يجري بين الشبان من الحب والغرام كما يزعمون ، وقد تقدم لخطبتها وهم في السنة الثانية من الدراسة .. فأمره ابن أختي الدكتور أحمد بالتريث حتى تنتهي الدراسة ، ويتعين في مستشفيات الدولة.. المهم أن الدكتور أحمد ابن أختي لم يعرف يومئذ أي صلة قرابة بينه وبين ذلك الطالب ولا حتى الفتاة ، وأظن أن الشاب مثلهم أيضا ، ولما تعرف على أحمد أخذ عنوانه واسم أسرته وعائلته ، وأخذ بالسؤال عنه وعن أهله، فعرف أن جدته من جهة أمه أخت أمه ، وأولئك أيضا عرفوا بهذه الصلة ، فحاولت أسمهان التقرب لأختها بعد كل هذه السنين من الجفاء من أجل هذا النسب والزواج ، فلما التقيت بأختي حدثتني كما تعلم عن هذا الخطيب ذات مرة.. فقلت لها ولأحمد أرجو أن لا يتم هذا الزواج يا أمينة ، وتضايقت مريم من كلامي هذا ؛ كأن والدها حدثها برفضي لهذا الزواج لتنساه ، وإن لم يكن الرفض من جهة الأب أحمد .. تذكرت كل هذا يا ارباس .. فأنا مستغرب من هذا الاشتباه .. فهذا الشاب متعلق بها تعلقا كبيرا ، بل حدثتني أختي أنه أخبر والدها بأنه سينتحر إن لم يتزوج مريم .. إنه ولد مجنون .. فصبره أحمد وقال له من جديد : لما تنته الدراسة يخلق الله ما لا تعلمون ..وللحق أيضا أن مريم مغرمة به وتعشقه،

وهي راغبة به وتضغط عليهم لإتمام الخطبة على الأقل .. فقد رأته فارس أحلامها كما يقول أهل العشق .. فهل يمكن أن يكون هو جرير الذي حدثتك عنه أختي؟!

فعلق ارباس : أيمكن أن يقتل الفتاة التي يهواها ويحبها؟! وهو الذي هدد القوم بالموت إن لم يحققوا حلمهم ؟!

فقال عرفان : هذا صعب التصديق ؛ ولكنه ليس غريبا .. يا ارباس فالذي يهدد بالانتحار يهدد بالقتل.

وتحدثا قليلا بشأن العمل والشركات ، ثم نهض عرفان وجلس عند الهاتف وأجرى اتصالا بنفسه بمنزل أمينة ، وبعد السلام والمجاملات سألها عرفان عن جرير المشتبه به في هذه القضية فردت : نعم ، هو جرير بعينه .. فالشرطة تشتبه به ؛ ولكن التي تحدثت معي يوم الجريمة امرأة ليس ذكرا .. فهذا ما يحير البوليس ورجال النيابة، فقد قال بعض زملاء الكلية إنهم رأوه في الجامعة في الصباح ، ولم يتغيب عن المحاضرات ، وفترة حدوث الجريمة ادعى أنه عاد للبيت ونام حتى العصر ، ثم قام بزيارة أخت له وزوجها ، وأمضى المساء معهم ، ثم عاد للبيت وأمه شهدت أنه كان في البيت ، وعدد من حراس الغابة يعرفونها ، وكثيرا ما شاهدوهما مع بعضهم وأنهم يترددون كثيرا على الغابة للجلوس وتناول الطعام؛ ولكنهم يوم الحادث لم يروهما ، وهذا لا يعني أنهما لم يدخلا الحديقة أو الغابة ذلك النهار ، فكثير من الناس يدخلون من خلال الفتحات الموجودة في الأسلاك الشائكة ، فهناك فتحات كثيرة .. فيتكاسل الناس من الدخول من الأبواب الرئيسية فيتركون سيارتهم خارج الأسلاك ، ويجلسون على الأرائك تحت الأشجار مقابل سياراتهم ، ثم ختمت أمينة كلامها قائلة : والله يا عرفان إنني منذ يوم عرفت أنه حفيد أختنا أسمهان نفرت نفسي منه ؛ ولكن هذه البنت ؛ كأنها لم تر في الدنيا رجلا غيره .. مصيبة وكارثة لو كان هو القاتل الغادر!

فقال عرفان بعد سماعه كل هذه المعلومات والشكوك : ولماذا يقتلها الملعون ؟! وهو يزعم أنه محب لها لماذا ؟ هذا المهم يا أمينة.

فأجابت قائلة : لحتى الآن ليس هناك شيء واضح .. فسبب الجريمة غير محدد، ولكن الأيام الخالية قبل الحادثة كانت حالة مريم غريبة ، وكل وقتها في غرفتها .. الغم والحزن يغمرانها فلم تكن طبيعية .. كان هناك شيء حتى أن والدها أحمد يخشى أن تكون انتحرت وخنقت نفسها .. ولولا تأكيدات الطب الشرعي أنها خنقت بفعل فاعل ..شخص ضغط عليها الشال حتى خمدت أنفاسها .. لقلنا إنها انتحرت أو صدقنا ذلك الهاجس رحمها الله.

فقال عرفان : حدثني صاحبنا سعدي رجل بوليس متقاعد أنها قتلت بهدوء أعصاب ولم تقاوم قاتلها.. يبدو أن القاتل خدعها أو خنقها متظاهرا بالمزح حتى حشرجت روحها فتركها عندئذ .. آسف يا أمينة.. ارتفعت دموعك .. نسيت نفسي وأنا أتحدث عن قسوة المجرم .. وهذا لا يفعله كما يقول سعدي إلا شخصان .. إما فتاة تثق فيها مريم أو هذا المحب جرير ولكن لماذا تقتل؟ هذا ما يبحث عنه البوليس .. هذا ما سمعته صباحا من سعدي عندما اتصل ليسلم عليّ .. وهو لم يذكر أمامي اسم جرير معتقدا أنني لا أعرف شخصا بهذا الاسم على كل حال قلبي معكم وإنني أتابع القضية أولا بأول.

ثم أنهى الحوار وتمتم لنفسه وهو يضع الهاتف : لماذا يقتلها ذلك اللعين؟! فوالدها لم يرفضه رفضا تاما إنما أجل الحديث في الموضوع حتى تنتهي الدراسة .. ماذا جرى له عندما سمع بنبأ موتها ؟! إذا كان هو الفاعل لابد أن يكون هناك سبب أكبر من الرفض أو التأجيل قد دفعه للجريمة .. أقول مرة أخرى إذا كان هو القاتل الأثيم .. سأجتمع بسعدي اليوم حتى أسمع أخبار البحث عن قاتل مجدية وماذا استفاد من تنكره ؟

فقضى عرفان نهاره في داخل القصر ، فاطلع على الصحف ، وتحدث مع المحامي في قضية نسب شاهر، وبعد الغداء دخل المكتبة فقرأ في كتاب عن أسباب ودوافع الجريمة ، فوجد بينها الحب والعشق ، وأنه سبب قد يؤدي للقتل والجناية وذكر المؤلف عدة قصص وجرائم أدى فيها العشق لقتل المعشوق ، ووجد أن أكثر الجرائم في هذه الصنف تقع من النساء المعشوقات، عندما تكتشف غدر الحبيب أو تشعر بضعف هواه وحبه نحوها ، فتعجب من ذلك ، واستمتع بقراءة

هذه الحكايات ولما فرغ من القراءة علق قائلا :إذن يمكن للحب المزعوم أن يقتل! .. لا ، هذا ليس حب .. هذه أنانية ، المحب يحب لحبيبه الحياة وليس الموت الإنسان أمره مدهش وعجيب!!

غادر عرفان المكتبة، وتحدث مع مكتب التحريات الخاصة واتفق على لقاء مع السيد سعدي ، فرحب به المدير ، وانصرف إلى النوم فنام حتى المساء، ثم انطلق به السائق إلى مكاتب شركة التحقيق ، واستقبله المدير حمزات بنفسه ثم خلا بسعدي الذي أخبر بهذا اللقاء فترك منزله في حي (الرسمان) ، وبعد التحية والسؤال عن الصحة والعافية قال سعدي : تأكد يا سيد عرفان أنني أبذل أقصى جهدي وأدس أنفي بين كل اثنين في الحي ، واشتري الغرض وأمضي نصف ساعة وأنا أتحدث مع صاحب المحل.. ورغم كل هذا الجهد لم نتقدم كثيرا .. فالكل يتهم الفنزويلي بقتلها والغدر بها .. فهم يقصدونك بالطبع يا سيدي .. وعندما أواجههم وأقول أن الفنزويلي رجل كبير ومريض ولا يقوى على ذلك.. فيردون بأنه استأجر قاتلا .. فأضحك وأقول لا أدري هل يستأجر قتلة في هذه المدينة الصغيرة ؟! نحن لسنا في نيويورك أو شيكاغو فأتركهم على سذاجتهم وجهلهم وأتظاهر أنني مصدق لما يدعون .. فالقاتل شخص ماهر عرف اختيار ساعة تنفيذ الجريمة أو أن الصدفة ساعدته.

فقال عرفان : لم تمسك طرف خيط بعد ؟

ـ للأسف لأ .. ولكني لم أيئس يا سيدي .. فمها كان المجرم بارعا لابد أنه ترك خيطا وراءه ..وأفواه الناس أحيانا لا تتفوه إلا بعد زمن ليس باليسير .. فالخوف يعقد الألسنة عن الحديث عما سمعته أو شهدته أو اشتباهها بشخص ما ولكن الأيام تجعل هذه الألسنة تتنفس..

فقال عرفان : وجريمة حفيدة أختي .. طالبة الجامعة الآنسة مريم.

ـ تعلم أننا غير مكلفين بالتحري والتحقيق في هذه الجريمة .. ولما علمنا أنها ابنة أخت حضرتكم أمرنا المدير أن نهتم بالأمر.. ولم نكتف بما قرأناه بالصحف ، بل تحدثت مع أحد أصدقائنا في دائرة التحقيق عنها.. وكما ذكرت لك صباحا أنهم يشكون بصديق لها .. ولكن للعلاقة

العاطفية الكبيرة بينهما يحاولون البحث عن قاتل مجهول ؛ ولأن جدة الفتاة شقيقتك أخبرت أن فتاة هي التي طلبتها ذلك الصباح.. فسبب ودافع الجريمة غير واضح لديهم .. والشاب يصر على الإنكار ، وأنه لم ير فتاته ذلك النهار.. وحرس الغابة شهدوا أنهم لم يروهم يوما في الغابة إلا وهي معه، فهم لم يروا واحدا منهما وحده البتة .. دائما معا إلا مرة واحدة شهد أحد الحراس أنه أتى للغابة ومعه مريم وفتاة أخرى.. فهو كثير التردد على غابة الأندلس فلذلك البوليس يرى أنه كان معها.. ولكن لا شهود.. فكان الوقت وقت حر وظهيرة ، ولم تشاهد الفتاة تدخل من بوابة الحديقة أو الغابة.

فقال عرفان : ولكنهما حبيبان ؟!

فقال سعدي : وهذا ما يدهش البوليس الآن.. ولكن البوليس قد تحدث مع زملائهم في الجامعة فشهدوا أنهما لا يكادان يفترقان خلال الدراسة إلا للضرورة .. وهم يقولون من الصعب رؤية مريم مع أحد من الزملاء دون جرير .. وهذا يؤكد أقوال حراس الغابة الذين يعرفونهما بشكل جيد؛ لذلك يرى البوليس أنه من الصعب أن تذهب مريم للغابة أيضا بدون جرير .. ويظنون أن الذي تحدث مع جدة مريم هو جرير ، وقد غير من صوته أو قلد صوت فتاة ؛ لأنه لا يوجد في حياة مريم بعد التحريات صديقة أو زميلة حميمة تدفعها للخروج من البيت في مثل ذلك الوقت ، وهي في حالة نفسية متعبة، تركت المحاضرات من أجلها .. فلابد من ساحب قوي، وهذا متوفر في جرير أفندي ، وقد أنكر هو هذا الاتصال .. ولا فتاة من صديقات مريم ذكرت أنها اتصلت بها في ذلك النهار حتى لمعرفة سبب تغيبها، بل من النادر اتصالهنّ بها.. والمشكلة أن أهل مريم لا يعرفون سبب تعبها وأزمتها في تلك الأيام التي سبقت الجريمة .. فالبوليس لا يرى أمامه إلا العاشق الولهان ؛ ولكن الأدلة غير كافية حتى تقدم للنيابة .. إنما هي أدلة ذهنية أكثر منها مادية .. وقد أفرج عن المدعو جرير .. وقد وضعوه تحت المراقبة إلى حين حتى يثبت لهم أنه بريء مائة بالمائة.

فقال عرفان وهو كأنه حالم : وطريقة قتلها الهادئة والماكرة لا يفعلها إلا من تثق به الفتاة وإلا

كيف تسلم له عنقها يضغط عليها بالشال دون مقاومة ؟!

فقال سعدي : وهذا الشال يثير الارتباك في التحقيق ..الطقس حار فلماذا الشال ؟ وجدتها لم تنتبه لما كانت تلبس بالضبط ، ولكن الشال لها ثابت أنه لمريم .. والكلام الذي أشرت إليه أيضا أحد القرائن العقلية ضد جرير ؛ ولكنها جريمة قتل يا سيد عرفان ! فنرجو أن يصل البوليس للحقيقة ليرتاح بالكم وقلبكم .. فالإنسان عندما يجهل عدوا يظل متوترا وقلقا .. وقد يصاب بالأرق والاكتئاب النفسي.

بعد صمت خيم على المكتب لحظات قال عرفان : هل يمكن أن تنتحر؟! فوالدها الدكتور أحمد يقول: لولا تقرير الطب الشرعي لظن أنها قتلت نفسها .. فهي كانت تضغط على والدها في الشهور الأخيرة من عمرها لقبول جرير خطيبا وزوجا لها، فيرى أن الحالة النفسية الغريبة التي كانت تمر بها ربما زينت لها حب التخلص من الحياة .. فهم يتذكرون بعد موتها تلك الأيام العصيبة والهياج وغير ذلك من التوترات والتصرفات والعصبية.

ـ ولكن المكالمة الهاتفية .. وعدم وجود هذه الفكرة لديها مسبقا.. وهي لم تصل مرحلة الاكتئاب الشديدة لتتحدث عن الموت والانتحار والقتل .. فهي ما زالت تحاول وتضغط على والدها ليوافق على الاقتران بجرير ..فهو لم يرفض الرفض القاطع .. والفتاة ذكية وتدرس الطب .. ورغم الحب والعشق فهي ممتازة في الكلية ، بل كل مدرسيها يثنون عليها ثناء حقيقيا ليس ثناء مجاملة أو ذكر محاسن موتاكم .. وفكرة الانتحار بالخنق نادرة حسب معلوماتي .. فهناك وسائل أخرى كالمواد السامة أو إلقاء النفس في بحر أو نهر أو من مكان شاهق.. هذا ما يناسب الحالات النفسية الحادة .. فالانتحار يستبعده رجال الأمن .. فالراجح أن لجرير هذا يدا في الجريمة .. ولكن لا دليل الآن ولكنه سوف يسقط.

شكر السيد عرفان المحقق الخاص سعدي أحمد ، ثم ودعه وانصرف عائدا إلى القصر ليجد في انتظاره مفاجأة ! فقد أخبره السكرتير أن شخصا اتصل بالقصر، وطلب الحديث معه ، ولما أعلموه بأنه غير موجود تحدث مع ارباس فقال مهددا : فليكن صاحبكم على حذر؛ فإني قاتله

قبل أن أقتل ، فلما سمع عرفان هذا الكلام وهذا التهديد دهش وقال لارباس : ما معنى ذلك ؟! ومن يكرهني لهذا الحد ؟! ولماذا سيقتل الملعون ؟! ومن سيقتله ؟ !

ثم تريث قليلا ثم قال بعد فكر : هذا جيد!.. فهذا قاتل مجدية .. يبدو أنه كان يريد من قتل مجدية أن تلبسني التهمة.. فلما تأكد فشله فهو يريدني قبل أن يقبض عليه

فصفق ارباس إعجابا وقال: أوه ! هذا هو التفسير الدقيق لعباراته ..ولماذا يريد تلبيسك قضية مجدية ؟!

ـ هو قتلها كرها لي .. ولكن من هو؟.. لا أذكر أن لي عدوا هنا منذ نزلت هذه المدينة .. أما لماذا يا ارباس هذا ما سنعرفه قريبا ؟ أخبر البوليس فورا بهذا التهديد ، وكذلك المفتش سعدي فالمجرم بدأ يحوم حول جريمته .. أنا لا أخشى الموت ، فقد أخذت نصيبي من الحياة .. وأعلم رجال الحرس بهذا التهديد الخطير، وقل للمحامي حميد أن يحاول التعجيل بقضية شاهر.

ـ إن الأمر لجد خطير يا سيدي.

ـ هذا قاتل يا ارباس .. ألم يقتل امرأة لأتهم بها ؟

أخذ رجال الشرطة التهديد والتحذير الذي وجه للسيد عرفان بغاية الجد .. فالمجرم هو الذي اتصل بالقصر ليلة تنفيذ الجريمة ، وتحدث مع السيد شاهر، فهو يعرف القصر والسيد عرفان حق المعرفة كما يبدو لهم ، وقررت الشرطة وضع رقابة سرية له أثناء خروجه من القصر ، وقد ارتاحوا لتحليل السيد عرفان ، ووجدوه قريبا من المنطق .. فهناك عدو خفي للسيد عرفان .. وقد قتل مجدية معتقدا أنه سيتخلص من السيد عرفان أو توريط شاهر.. فقال مدير الشرطة : إذن المجرم بدأ يتحرك

ونشط رجال الأمن بعد ذلك الاتصال ، ووضع قصر عرفان تحت أنظار دوريات الشرطة والمباحث .. وهناك أيضا في جريمة مقتل مريم حدث تطور قد يكون مهما كذلك ، فقد وجدت إحدى شقيقات مريم في أحد كراستها الدراسية ورقة بخط مريم تتسأل فيها هل يمكن للمرأة أن تتزوج قاتلا ؟!.. وهي تعرف أنه قاتل !

فلما قرأت الأسرة هذه العبارة احتارت .. فكلمة القتل كلمة مخيفة ، وعلى أثر معرفة الشرطة لهذه العبارة المكتوبة على ورقة داخل إحدى كراسات مريم.. فقد قاموا بجمع كتبها ودفاترها وتفقدها، وتمنوا لو أنهم وجدوا جوابا على سؤالها .. فمن هو القاتل الذي تتحدث عنه مريم ؟ .. فهل جرير قاتل ؟ وقتل من ؟!

فكان مدير الشرطة يقول للمفتش المكلف بالتحقيق : هذه العبارة فيها حل اللغز كله !

فسأله المفتش : كيف ؟!

فقال المدير: تخيل لو أن مريم علمت أن من كانت تريده خطيبا أو زوجا أنه قاتل .. سفاك للدماء .. هل تقبل الزواج منه ؟ .. وهل تصمت لتتستر على جريمته ؟ .. وهل أحس ذلك الخطيب بأنها عرفت حقيقته وجريمته ؟ وأنها قد تفشي سره .. فماذا عليه أن يفعل ؟

فقال المفتش بسرعة : يقتلها! .. ليخفي جريمته الأولى .. فالقاتل لديه استعداد للقتل مرة أخرى حتى لا يعرف أحد جريمته.

ـ هذه جريمتنا والله تعالى أعلم.

سقوط القاتل

دوائر الأمن ترتاب بالشاب جرير بأنه هو الذي قتل صديقته وزميلته في الكلية ، ومن هو القاتل الذي تتحدث عنه كلمات مريم في إحدى كراسات الكلية ؟ رجال البحث والتحري يطاردون جريرا ، فقد وضعوه تحت المتابعة الدائمة ؛ وكأن جريرا أحس بذلك ، فهجر الجامعة وادعى أن موت حبيبته مريم، واشتباه البوليس به زاد من تحسره وألمه وحزنه ، فكان يكثر من البقاء في البيت ، وقد أحضر له والده معالجا نفسيا ، وقد زاره أكثر من مرة ، وبدأ يتردد على العيادة النفسية، مما حير رجال الأمن حتى أن بعض المحققين والمتابعين للقضية تسرب إلى نفوسهم براءته من الجريمة.

وكان سعدي يضع السيد عرفان المشهور بالفنزويلي في صورة هذه الأخبار، فيقول عرفان : هل هجره للدراسة ندما أم خداعا لرجال الأمن ؟!

ـ المحققون في حيرة من أمره .. فكل القرائن العقلية ، وأقوال زملاء الجامعة ، وحتى أقوال أصحابه في الحي تدل على أن مريم لا يمكن أن تذهب للغابة البعيدة عن العمران من دون جرير .. ووضعها النفسي في ذلك اليوم والأيام التي قبله تدل على أنه لا يمكن لمريم أن تقبل الخروج إلا مع شخص له تأثير كبير عليها .. وحدثه عن قصة الورقة التي وجدت في كتب مريم التي تتسأل فيها عن الزواج من قاتل .. ولكنهم حائرون من تقصد بهذا الكلام ؟!

فقال عرفان : الأيام القادمة ستكشف المزيد من الأسرار .. وغدا لنا جلسة مع القضاة في شأن ولدي شاهر، ويقول المحامي إن القضاة مقتنعون بهذا المطلب، وأن اعتراف مجدية أمام المحامي كافي لتصحيح الأوراق الثبوتية .. وستكون الجلسة في العاشرة صباحا إذا أحببت الحضور.. ويقول حضرة المحامي أن الجلسة لن تستغرق أكثر من عشر إلى خمس عشرة دقيقة فقط.

فرد المفتش سعدي : بالتأكيد سنكون معك .. فما زال رجال الأمن يفرضون عليك حراسة خفية منذ تلقيكم ذلك التهديد .. وربما تلزم شهادتنا لدى القضاة.

فعلق عرفان قائلا : أخشى أن يكون التهديد مزحة أو سخرية من أحدهم .. فالذي تلقى

التهديد هو ارباس ..على كل نلتقي غدا أمام دار العدل.

ولما غادر عرفان مبنى شركات التحقيقات الخاصة ، واقترب من سيارته أطلقت عليه رصاصات من سيارة متحركة كانت تنتظر خروجه .. فلما فتح له رجاله الباب ليركب .. تحركت السيارة وأطلقت منها الرصاصات ، فأصابت أحد الحراس في ذراعه وأسرعت مبتعدة .. فقد كان الشارع في ذلك الليل قليل السيارات ، فارتبك رجال عرفان ، فأمر عرفان السائق بنقل الحارس المصاب إلى المستشفى ، ودخل المبنى واتصل بالبوليس وتحدث مع سعدي الذي هرع مسرعا ، وهو في غاية التوتر والاضطراب وهو يقول : أين رجال الأمن ؟ أين البوليس ؟ وكان أمن العمارة قد أخبر البوليس قبل اتصال عرفان .. فقد لاحظ الحارس الأمني المشهد ، ولكنه لم يتمكن من التقاط أرقام السيارة الهاربة .. فتجمع رجال الشرطة خلال دقائق ، واعتذروا عن غفلتهم في حماية السيد عرفان ، وبينوا أن الفريق المكلف بحمايته كانوا يجلسون في مطعم البناية يأكلون ويشربون الشاي ريثما يهبط .. فشكرهم عرفان ، فقال أحدهم : عندما طالت الجلسة مع السيد سعدي.. قلنا نتعشى ونشرب الشاي .. ونحن كنا نقوم بدفع الحساب عندما أطلق الرصاص.. فنحن لم نسمع صوت الرصاص .. فالمجرم يضع على مسدسه كاتما للصوت.

رفع رجال الشرطة الرصاصات الفارغة ، وحمدوا الله على نجاة السيد عرفان، وانطلقوا إلى المستشفى .. وهناك وجدوا أن الحارس قد ادخل غرفة العمليات لانتزاع الرصاصة التي استقرت في ذراعه ، ولما اطمئن عرفان على حياة الحارس ، قفل عائدا للقصر بحماية سيارات الشرطة وهو يقول : عدو حاقد .. من هذا اللعين الذي يريد قتلي ؟؟ غدا جلسة المحكمة!

اتخذت إجراءات أمن مشددة عند المحكمة ، وانتشر رجال البحث الجنائي والأمني في أروقة دار العدل ، وعلى الأبواب والمداخل خوفا من أن يكرر المجرم المجهول محاولة الاغتيال ، وحضر السيد عرفان إلى المحكمة ، واستمع القضاة أقواله ، واطلعوا على اعتراف السيدة مجدية وشهادات فحص البصمة الوراثية ، ثم تم إعطاء السيد شاهر اسم أبيه الحقيقي .. وهنأ المحامي

السيد عرفان على سلامته ونجاته من يد الغدر فشكره وقال : سأذهب للمستشفى لزيارة الحارس الشجاع الذي فداني بنفسه، وعليك متابعة أخذ قرار المحكمة ؛ لنقوم بعد ذلك بإخراج وثيقة شخصية وتغيير شهادة الميلاد للسيد شاهر ومن ثم جواز سفره فأنا أريد أن أسافر فقد طالت غيبتي عن البلاد والأعمال .. وليستمر سعدي بملاحقة قاتل أم شاهر .. وعليك بالاهتمام بأحوال أخواته الثلاثة .. فليس لهن الآن سواه.

ووعده المحامي بفعل كل مناسب ، وركب عرفان السيارة الخاصة به، وانطلق به السائق نحو المستشفى الذي يرقد فيه الحارس المصاب ، وكانت تتبعه بعض سيارات الأمن والشرطة ، ونزل عرفان إلى المستشفى والرجال أمامه وخلفه، وصعدوا إلى الطابق الرابع حيث ينزل الحارس بعد خروجه من غرفة العمليات ، وتعانق الرجلان ، وأبدى عرفان امتنانه وشكره الكبير للحارس الأمين وعلى إخلاصه فرد الحارس : هذا واجبنا يا سيدي ! لم ننتبه له ولحركة السيارة.

وبينما الجميع يثني على الحارس وشجاعته ، دخل أحد المرضى وهو يقول : أين السيد عرفان ؟ متظاهرا بأنه لا يعرف شخص السيد عرفان، وكان الطبيب المقيم يقول : هذا المريض دخل ليلة أمس ، وهو يعاني من آلام حادة في الأمعاء.

وبينما الطبيب يحاول التعريف بالمريض الذي يريد التعرف على السيد عرفان .. أخرج المريض مسدسا من ثيابه ، ولكنه قبل أن يستعمله كان قد تلقى ضربة من أحد رجال الأمن سريعا فسقط على الأرض، وانطلقت رصاصة أصابت الحائط من حسن الحظ ، وهجم عليه رجال الأمن سريعا ، فاقترب منه عرفان وصاح : أنت جرير حفيد أختي أسمهان لقد التقينا قديما!

فصاح الرجل المأسور بغيظ وحقد : إنني أكرهك .. أكرهك .. أنت سبب دماري!

فقال عرفان بتؤدة ودهشة : أنت إذن القاتل لمريم .. ولمجدية من قبل ؟!

فصاح جرير بحقد : أجل أنا القاتل! .. وأنت السبب .. ولكني تأخرت في قتلك لقد حاولت أمس ففشلت .. واليوم قد فشلت

فقال عرفان : أين التقينا أيها التعيس ؟!

فقال جرير وهو ينظر إليه بقهر وغيظ: يقال إن لك مستشفى خاصا .. هناك التقينا.

فهتف عرفان : أوه ! .. تذكرت .. كنت يومها مع مريم التي كانت تتمرن في المستشفى.. رأيتك معها .. ولكني لم أعرف اسمك يومها .. سلمتم عليّ .. ولم تعرفني بك مريم .. ولكن لماذا تكرهني وتحقد عليّ كل هذا الحقد ؟!

ـ لأنك رفضت زواجي من مريم.

ـ أنا ؟!

ـ نعم أنت ، ألم تقل لأختك وابن أختك أرجو أن لا يتم هذا الزواج ؟.. كانت مريم تحدثني بكل شيء .. فكرهتك ، حقدت عليك ، تمنيت موتك .. إنني أبغضك.

حضر مدير البوليس والمفتشون المكلفون بالتحقيق ، فسمعوا جريرا يقول : سأعترف لكم بكل شيء .. كنت أريد قتلك ثم أقتل نفسي .. لا حياة بعد موت مريم .. كان يجب أن تموت قبل أن أموت.

فساقه رجال الأمن مكبلا إلى دائرة التحقيق لاستماع أقواله واعترافاته.



جرير

جرير نادي الساعد طالب في كلية الطب في إحدى جامعات القطر، وهو ابن من ثلاثة ذكور للسيد نادي الساعد ، وأمه السيدة فاتن يسري وهي ابنة السيدة أسمهان ناصر أخت السيد عرفان ، فالسيد نادي الساعد رجل صاحب شركات وأموال، فلما نجح ولده الصغير جرير في الثانوية العامة ، وأحب الشاب أن يدرس الطب ، وأموال أبيه تساعده في ذلك ، فوافق الأب بدون تردد ، فقبل في كلية الطب ، ولم يبخل عليه والده بالمال ولا بالسيارة ، ولم يكن ينقصه الذكاء في التحصيل، وخلال السنة الأولى في الجامعة التقى بالآنسة مريم أحمد كطالبة في نفس الكلية .. وتصادقا ومع الأيام زاد تعلقهما ببعض ، فأصبحا عاشقين ، وانتشر ذلك في الكلية، وكما يقول أصحابهما مشروع زواج قادم! ، وكانا في انسجام تام ، ولما انتهت السنة الثانية اتفقا على الزواج.. وتحدث المدعو جرير مع السيد أحمد والد مريم في موضوع الزواج ، بعدما قامت مريم بتعريفهما على بعض ، وأبدى الشاب حسن نواياه ورغبته الصادقة بخطبة مريم والاقتران بها ؛ وليصبح الأمر واقعا ، ويتحركان من غير حرج ونظرات وغمزات الزملاء.. ولكن السيد أحمد لم يتحمس لهذا الزواج، وطلب منهما التريث بالموضوع بحجة إنهما تلميذان وغير ذلك من الأعذار .. هذا الاعتذار لم يعجب الشابان ، وأظهرت الفتاة غضبها من طلب أبيها تأخير الخطوبة حتى أن والدها اضطر أن يقول : ألستم تلتقيان منذ سنتين يا مريم ؟! فلماذا الخطبة ؟! فقالت الفتاة : كلام الزملاء .. وجرير شاب رائع ومناسب.

فلم يقتنع والدها بأقوالها ومبرراتها ، وأخذ يسأل عن أسرة الشاب ، فعرف بصلة القرابة التي تربط بينهم من جهة الجدات ، فتعقد الأمر لديه ، ولكنه لم يظهر ذلك النفور لمريم ، وحدث أمه بذلك ، فغضبت وحاولت منع مريم من الزواج بهذا الشاب .. فقط لأنه حفيد أختها أسمهان بعكس أختها أسمهان فقد كانت مسرورة لهذا الزواج ، بل اتصلت بأمينة وزارتها بعد كل سنوات الانقطاع لتقنعها بهذا الزواج ، وأنه قد يكون فرصة للتقارب وإعادة اللحمة الاجتماعية للأخوة ، ثم ظهر السيد عرفان في حياة الأسرة، وامتلئوا سعادة بمعرفته وحياته، وحدثته أمينة

بذلك ، فحبذ أن لا يكون هذا الزواج ، ونقل كلامه لمريم لعلها تستمع له وتقنع به ، فهي كانت مبهورة بخال والدها ، ومعجبة بقصة كفاحه ، وكانت تتحدث بذلك أمام الجميع وبفخر حتى سمعت وعلمت عدم رغبته هو الآخر بزواجها من حفيد أخته جرير ، أخته التي ماتت في قلبه بل كانت تحلم بأن تشفعه في موضوعها .. فحبها الكبير لصديقها جرير غير من هواها نحو أهلها وأسرتها ، وظهر النفور منها لكل أفراد الأسرة ، وازدادت تمسكا بفتاها ، وكان عرفان يحدث أخته أمينة بحكاية شاهر والتطورات التي تحدث ، وكانت مريم تسمح لنفسها بسماع هذه الأخبار عندما تتحدث بها جدتها لأبيها ، وهي بدورها تنقل الكلام بقصد القص والحديث للسيد جرير الغاضب على عرفان ، ولما عرف أنه شقيق لجدته أسمهان ازداد عليه حقدا وبغضا وكان يرى أن لهذا الرجل تأثيرا كبيرا على أمينة وابنها أحمد لما سمعه عنه من مريم ، واعتقد أنه سيكون العقبة الكبرى في طريق زواجه، وكانت مريم نفسها ترى ذلك ، وخشيت أن يطلبها لأحد أبنائه ، بل نقلت هذا الهاجس لجرير الذي خاف هو أيضا من تلك الخطوة ، ومن غير أن يحاولا التأكد من ذلك الاعتقاد أو اختباره فأخذ الوهم يكبر في نفوسهما .. ويريان أن رفض أحمد والد مريم بإجراء الخطبة بينهما خوفا من أمينة وخاله عرفان ، مع أنه رفض الخطبة قبل ظهور عرفان في حياتهم .. ولما عرف جرير بأن السيد عرفان سوف يعترف بولده شاهر ـ كما يعرف القراء ـ فكر بتدمير حياة عرفان بالقضاء على السيدة مجدية ، ولابد أن يشتبه البوليس بالسيد عرفان ، فقد كانت مريم تنقل له أن السيد متردد بالاعتراف بالولد ، وأخذه إلى أمريكا لإجراء التحاليل اللازمة لإثبات البنوة .. وسمع أيضا بقصة الجوهرة الآسيوية من مريم التي سمعتها أيضا من جدتها أمينة عندما استفسر والدها عن سبب مجيء عرفان العاجل ، فشرح لها ذلك .. فتعجبت من حب أخيها للمجوهرات .. فأحب جرير أن يجعل يوم شراء الجوهرة مأساة في حياة السيد عرفان ، وأن يقلب فرحه إلى حزن وألم هكذا توهم الشاب .. وكان يملك مسدسا ، فاشترى له جهاز كتم الصوت ، واستأجر سيارة ، ثم اتصل بشاهر وحثه على زيارة أمه ، وأوحى له بالقفز عن السور، وكان يقصد من ذلك كما جاء في اعترافه إرباك البوليس

وإثارة الشبه حول شاهر أيضا ، إن نجا منها عرفان ، فجاء شاهر لبيت أمه ، وقد رآه جرير وهو يدخل البيت ، وقد مكث وقتا يسيرا مع أمه ثم نزل ، فلما ابتعد عن بيت أمه دخل جرير المتسلل البيت ، وسأل المرأة عن شاهر مدعيا أنه رفيقه فقالت : لقد خرج يا ولدي.

فقال : حسنا ، اسقني ماء سألحق به.

ذهبت المرأة وأحضرت له الماء وهي تعتقد أنه صديق لولدها ، فقال : أنا طبيب .. وقد زارني شاهر عدة مرات .. واليوم قال لي أريد زيارة أمي .. لو تذهب معي يا دكتور .. فأتيت به بسيارتي.. فلما دخل البيت دخلت البقالة لأشتري بعض الأشياء وأتحدث بالتلفون .. وبينما هي مصغية إليه ، وكان قد هيأ المسدس أثناء إحضارها كوب الماء فأطلق عليها الرصاص .. ثلاث رصاصات في الوجه والجبين ..فغدر بها وتركها حيث كانا يتحدثان ، وهبط سريعا حتى وصل السيارة الراقدة في ظلام الشارع .. وكان يلبس حذاء خفيفا لا يكاد يظهر أثره على الأرض .. هكذا قتل هذا الشاب المتهور هذه المرأة بدم بارد ؛ لينتقم ممن يعتقد أنه سيكون العقبة الكبرى في طريق زواجه من فتاته.. وفعلا أثيرت الشبهات حول عرفان ، ولكن ثبت أنه ليست لديه دوافع قوية لتدفعه لارتكاب الجريمة ، ولم يكن هناك مصلحة لأولاده في ارتكاب الجريمة ، ولكن الذي تورط هو جرير رغم ترتيبه الدقيق للجريمة فتهيجت أعصابه وتوتر ، واعترف لمريم بفعلته الشنيعة وتسرعه ، فتألمت لتهوره وضاقت عليها الدنيا بما رحبت وأظهر جرير ندمه الكبير أمامها ، وأنه استسلم لنوازغ الشيطان والشر، وتسرع في تنفيذ فكرته، وادعى أن ذلك كان بسبب حبه الكبير لها، ولإزالة عرفان المعارض عن طريقهم ، ولكنها صدمت لإقدامه السريع وجرأته على قتل المرأة للتخلص ممن توهموا أنه لهم عدو .. ولم علم منها أن الشرطة لا تتهم أحدا ممن نصب لهم الشرك بقتل مجدية ازدادت حيرته وتشوش ذهنه.. وأنه فشل باتهام عرفان أو حتى شاهر بالجناية .. فبدأ يظهر عليه الخوف والرعب من مريم .. خاف أن تعترف للشرطة .. خاف من ضعفها الأنثوي .. فلم تعد تقابله بالفرح والابتسام والحب المعهود بينهم ..أصبح لقاؤها عتب وندم وبكاء وخوف وتلفت .. فعاد مرضه يصور له الخطر القادم والداهم

من محبوبته .. فهي الوحيدة التي تعرف سره وجريرته.. والبوليس ما زال يبحث ويتحرى عن قاتل مجدية.. وكبر الخوف في نفسه.. فأظهر لها رغبته بالانتحار إذا أصرت على النفور منه.. فتقول بحدة : دعني من هذه الأفكار كيف تقتلها بدون أن تشاورني في الأمر؟! .. امرأة بريئة ما بينك وبينها ؟! كيف تصورت أن البوليس بمجرد قتلها سيتهم عرفان .. هذا غباء يا جرير؟! فيبكي ويظهر الندم والعجلة ويقول : لا أدري كيف تصرفت ؟ بغضه أعمى قلبي .. إنه رجل حقود .. كل سنوات الغربة والمهجر ، لم تنزع من قلبه كره أخته ، بل أحفاد أخته .. إنه مجرم .. هو القاتل!

ـ ولكنك أنت الفاعل المنفذ!

ـ إنني أشعر بالأسف والندم والعجلة يا أميرة أحلامي .. لقد تسرعت ..لا تكوني ضدي يا مريم .. ساعديني.

فقالت بحزن : أنا معك .. وأشعر بأني شاركت مثلك في الجريمة القاتلة .. وسوف أساعدك .. ولكني أتسأل كيف سأتزوج من قاتل ؟ بل ماذا أقول لأهلي لو عرفوا بذلك ؟!

فهتف : لا أحد يعرف ذلك سوانا يا مريم.

ـ وهل ستنسى الشرطة الجريمة ببساطة ؟!.. سوف يستمر البحث عن المجرم يا جرير .. ويحتاج الأمر لسنوات حتى ينساه الناس والشرطة .. وماذا سنقول

للأولاد إذا أكرمنا الله بهم بعد الزواج عندما يكتشفون أن أباهم قاتل ؟

فهاج وصاح : إنك تقتليني ألف مرة بهذا الكلام ! ولست أول مجرم في الدنيا .. الأرض مليئة بالقتلة.. وكل له أسلوبه وطريقته في القتل .. الجنود يقتلون .. القضاة يقتلون ..وها هم لهم أولاد وبنات.

فقالت بحدة أيضا : ويلك .. هناك فرق بين قتل وقتل.

فصرخ فيها : كله قتل! كم قضى القضاة على أناس أبرياء بالقتل! وكم معدوم ظهرت براءته بعد موته ؟! وكم مقتول في حرب أهلية أليس هؤلاء الجند قتلة ؟!

فصاحت : ولماذا تكون أنت قاتلا ؟!

هكذا كانت أكثر لقاءاتهما بعد مقتل تلك المرأة .. اتهام وتبرير حتى ضاق جرير ذرعا بأفكار مريم .. وبدأ يتحسس عنقه ليل نهار .. ويخشى حبل المشنقة ، وتتزوج مريم رجلا غيره .. وحالة مريم النفسية تزداد سوءا ، ويخشى عليها الانهيار النفسي فتقر بجرمه .. تضخم الخوف في نفسه أصبحت مريم تشكل عليه خطرا ، وبدأت تراود نفسه فكرة قتلها والخلاص منها.. فكلما زاد الخوف من حبل الجلاد زاد هوسه بالقتل .. فخيال مجدية أمامه في كل مكان تهتف في وجهه قتلتني يا ظالم ! .. لماذا قتلتني ؟! .. وما دخلي أنا بعرفان لتقتلني ؟! فيصرخ ويبكي ألما ورعبا ، ووصل في النهاية لقرار قاتل وهو قتل مريم .. فلم يعد يطيق تأنيبها ونظراتها سوف تعترف ويعدم ، وتتزوج زوجا غيره .. سيمتلكها رجل غيره .. وهو فعل ذلك من أجل عيونها من أجل الزواج منها .. وفي ذلك اليوم اتصل بمريم والتقيا فقال لها : إنني مشتاق لك يا أميرتي .. فلما علمت تغيبك عن الجامعة اتصلت بك وقررت اللقاء بك.

وأخذ يحدثها عن شوقه وغرامه ، وكانت الدنيا في وسط النهار فانطلق إلى حيث يحبان اللقاء إلى غابة الأندلس .. لم يسر بها حيث البوابة الرئيسية بل ركن السيارة في مكان ترابي بعيد عن الغابة ، وهو يقول : المشي على هذه الرمال والتراب ممتع .. وهناك مدخل من الأسلاك الشائكة كانت مريم مستسلمة لإرادته ، ولم يخطر في بالها ما في نفس جرير من الإجرام والخوف القاتل بعد مسير نصف ساعة تحت الحر وأشعة الشمس اقتربا من الغابة .. كانت هادئة لا أحد يجلس على المقاعد المنتشرة في الغابة فالشمس حارة .. دخلا من إحدى الثغرات .. جلسا على الأرض تحت شجرة ضخمة .. أخذ جرير يتكلم بالأحلام والندم ويتمشى هنا وهناك .. فلما تأكد أن لا أحد في المكان اقترب من مريم التي تتابعه بدهشة وتقول في نفسها : مسكين جرير حبه لي أعمى قلبه .. لابد أن بركانا في قلبه يغلي من الندم والأسف والخوف.

اقترب منها وهو يقول : مريم .. قتلني الحب يا مريم

فقالت : الحب لا يقتل يا فتى .. بل يطيل العمر .. أفكارك الضيقة هي التي قتلتك .. ليل نهار

أفكر بتلك المرأة المقتولة برصاصات مسدسك.

وكان جرير وهي تتكلم بهذا الكلام يتطلع يمينا وشمالا فقالت : لا تخف .. لا أحد هنا .. من يأتي في مثل هذا الحر أيها الحبيب ؟

وضع يده على رأسها وقال : إنني أخاف منك يا مريم .. أخاف أن تكشفي سري لأحد الناس.

ـ ويلك أأستطيع أن أقول لأحد ذلك ؟! .. فالشامتون كثر.

فقال : ما هذا الشال الذي تضعينه على رأسك الجميل رغم حرارة الطقس ؟

هي لبسته لأنها كانت تشعر بالبرد ربما بسبب السقم خلال الأيام الماضية ، وأخذ الشال عن رأسها وأخذ يعبث به ، وكانت مريم تعلل سبب وضعها الشال وهي خارجة من البيت.. وادعت أنه بسبب المرض وإحساسها بالبرد منذ الصباح ثم قال : هذا مكانه العنق أفضل من الرأس . وأداره حول عنقها وهو يتظاهر بالحب والهوى .. فلما أحكمه حول العنق ضغط عليه وهي تنظر إليه بحيرة ودهشة حتى خمدت أنفاسها ثم قال : فليمت الخوف القاتل . ولما تأكد من موتها قال : لقد أراحتني من استعمال الحبل الذي أحضرته بلبسها للشال الناعم.

واختفى وهو يحمل أوزار الجريمة الجديدة على عاتقه قتل الفتاة التي ادعى أنه قتل من أجلها من أجل حبها .. الشيطان هكذا يسول للنفس .. ماتت مريم بيد من كم مرة داعبت يده شعرها الأسود الفاحم من الأيام الخوالي.

كانت الشرطة ترى أن الحبيب الولهان هو الجاني ، وإنما ينقصهم الأدلة المادية أو الاعتراف.. واستطاع جرير أن ينكر لقائه بمحبوبته ذاك اليوم .. فلم يره أحد من زملائه مع مريم ؛ فإنها لم تأت الكلية منذ الصباح .. الهاتف الذي قلد فيه صوت فتاة عندما تحدث مع السيدة أمينة أيضا رفع الشبهة عنه بعض الشيء .. ولما أفرج عنه كان في غاية الانهيار .. وأحس بأنه سفاح قاتل رهيب .. بكى كثيرا على قتله مريم ، وظن أن الخوف سوف يذهب ويزول عن صدره ؛ ولكنه وجد نفسه جريحا متهما ، الطبيب النفسي يعالجه .. نظرات الزملاء والأطباء في الكلية فيها الاتهام والغدر .. البيت تحت المراقبة.. ارتفعت الرغبة لديه بالانتحار ..ولم يستطع مصارحة

الطبيب المعالج بمأساته وجرائمه .. فقد غرق بمستنقع الجريمة .. البكاء والندم لم يغسل وحر الجريمة وإثمها في نفسه .. أصبح كلما يرى شرطيا يصاب برعب قاتل يظنه قادما للقبض عليه .. أشباح الضحايا تطارده .. نسي الصور الجميلة التي كان يعيشها مع مريم ، لا يرى إلا عينيها الجاحظتين نحوه .. العينان المستغربتان وحشيته وهما غير مصدقتين ما حدث ماتت مبهورة من جنونه نعم أصبحت مجنونا .. بدأ يراوده الخلاص من الحياة هذه المرة الانتحار .. ولكن يتذكر أنه لم ينتقم من عرفان من الرجل الذي تخيله عدوا ضخما له .. فلابد من موته أليس هو سبب فعله لكل هذه الجرائم .. فبدأ يتصل بشاهر من أماكن عامة ..الذي يظنه صديقا قديما له .. فكل بضعة أيام يتصل به .. ويعرف منه أخبار السيد عرفان بذكاء .. علم بعودته من النمسا ..وكان يعرف علاقة عرفان بشركة التحريات الخاصة منذ قتله لمجدية.. فقد كانت مريم تحدثه عن ذلك .. ذات مساء تحدث مع شاهر من بقالة فعلم منه أن والده خرج للشركة المذكورة .. فهو يعرف طريقها .. استأجر سيارة خاصة .. ودار بها هنا وهناك حتى أحس واطمأن أن رجال الأمن ليسوا خلفه فسار نحو بناية الشركة .. وأوقف السيارة قريبا من البناية وجهز المسدس .. يريد قتل عرفان ثم الانتحار بعد موته .. وكان جرير قد اتصل بالقصر سابقا وهدد بقتل عرفان .. فلما شاهد حرس عرفان وسائقه قد أضاءا السيارة .. شغل هو الآخر سيارته .. فلما لمح عرفان يقترب من السيارة .. تحرك رويدا رويدا حتى وصل بالقرب من سيارة عرفان وأطلق الرصاص ، وتابع سيره مبتعدا ، لم يعد للبيت ظل قريبا من المنطقة .. أدرك أنه لم يصب عرفان لقد نجا؛ بل أصاب حارسه إصابة غير قاتلة فاشترى حقيبة ووضع بها بعض الملابس والأثواب ، وبلع بعض حبات الدواء ليتظاهر بالمرض ، وعند منتصف الليل أو بعده بقليل ذهب للمستشفى الذي يرقد فيه حارس عرفان كان ينتظر مجيء عرفان لزيارة رجله وحارسه .. إنه يريد قتل عرفان مهما كلف الأمر .. أخفى المسدس في حقيبة الثياب دخل قسم الإسعاف الأولي ، ووضع شيكا بمبلغ خمسمائة دينار لإجراء الفحوصات اللازمة لأمعائه .. أعطي بعض الأدوية السريعة المفعولية .. حجز له سريرا في الطابق الرابع قريبا من حجرة المصاب .. وتقرر

أن يقام بتصويره على الأجهزة المتطورة في المستشفى في الصباح الباكر بناء على رغبته .. فقد أمضى ليلة على جمر ونار .. وفي الصباح لما أراد الأطباء تصويره طلب تأجيل التصوير لبعد الظهر.

ولما حضر السيد عرفان للمستشفى ترك الحجرة متظاهرا بأنه يريد التمشي في الممرات .. فدخل حجرة المريض الحارس ..وكاد يقتل الرجل لولا نباهة رجل الشرطة .. وسقط الشاب الطالب في كلية الطب في يد العدالة قبل أن يقتل خصمه الوهمي .. نجا عرفان ناصر من يد الغدر ، فحمد الله تعالى على لطفه ، واطمئن على الحارس المصاب ، وشكر فريق الأطباء والجراحين ، وغادر المكان وهو في ذهول من أمر الإنسان.

استقرار عرفان

لم تطل محاكمة جرير فقد أدلى باعترافات كاملة ، وأقر بها بنفسه وخطه، فحكم عليه القضاء بالموت .. وهذا جزاء القتل العمد .. وكان أهل الضحايا قد استقبلوا الحكم برضا ، وانتظروا تنفيذ الحكم الذي قد يستغرق سنة قبل تنفيذه .. ولعل ذلك يزيل عن قلوبهم الأسى والحزن على ما فقدوا من أحبائهم.

أما السيد عرفان فلما تماثل حارسه للشفاء غادر البلد إلى فنزويلا ، وانشغل بضعة أسابيع في قضية الجوهرة التي كان يرغب بشرائها ، وعلم بأنها بيعت لأحد الأمراء في بلاد الشرق ، فصرف نظره عنها ، ولم يحاول معرفة لغز الشخص الذي أفسد عليه الصفقة ، وعاد للنزهات والهدوء ، وكان شاهر في صحبته ، وأعجب شاهر بـ الأريبا الفنزويلية، وهي عبارة عن أرغفة صغيرة تصنع من الذرة ، وتعلم شرب الكانيتيلا اللاذعة الفنزويلية المشهورة ، وذهب إلى ميريدا حيث أعلى خط تلفريك ، وقد استمر عرفان بالعناية به وبصحته حتى تحسنت أحواله الصحية والبدنية ، وخف تعلقه بالكحول ، ثم عقد له على فتاة شرقية من مواليد فنزويلا ، وكان بين الحين والحين يتصل بأخته أمينة ويطمئن عليها، ويسمع أخبارها ، وكانت الأيام تمشي هادئة طيبة ، ثم تجدد مرضه القلبي فأصبح قليل الحركة.. يتحرك داخل القصر وأحيانا الشرفات ، وكان كما يقول لمحدثيه ينتظر ساعة النهاية رغم أنه لم يتجاوز السبعين بعد ، وشجعه الطبيب الخاص بالسفر إلى أمريكا الشمالية لإجراء عملية في القلب والشرايين ، وبعد طول جدال وضغط من الأولاد جهز للسيد عرفان طائرة طبية ، وسافر إلى بلاد الأمريكان حيث التكنولوجيا المتقدمة ، وبعد شهور من الفحوص والتصاوير والتحاليل أدخل السيد عرفان غرفة العمليات لإجراء جراحة في صمامات القلب.. وقد نجحت الجراحة القلبية ، وبعد شهور رجع عرفان لمكتبه وحجرته في كاراكاس ، وقد تحسنت صحته بعض الشيء ، فما زال يشعر بتعب وآلام في صدره ، وما زال يشعر بدنو أجله، فلم يعد يتابع الشركات والصفقات والحكايات، فقد ترك كل ذلك للورثة ، وأخلد للراحة التامة، وكان يحث أولاده على تسفيره

إلى مسقط رأسه إلى الأرض التي ولد عليها ، وبعد طول عناء وافق الأولاد كلهم على رحيل أبيهم إلى بلاده حيث يحب أن يموت ويدفن ، وحيث ولد ونشأ ، واعتذر الطبيب الخاص عن الرحيل معه والاستقرار في تلك البلاد ، فأثنى عرفان عليه الثناء الجزيل ، وقدم له هدية ثمينة ، وكذلك الممرضة ، وأما خادمه المخلص لويس فقد وافق على البقاء معه حتى موت أحدهما

وأما شاهر فقد فضل البقاء عند إخوته وزوجته التي رفضت الرحيل ، فخضع لها ، فأوصى عرفان أولاده بأخيهم وزوجته ، وسافر عرفان إلى قصره الذي أنشأه منذ أكثر من عشر سنوات واستقر فيه ، وقد فرحت أمينة باستقرار أخيها الدائم في بلده .. وطلب منها الحياة معه في القصر وبعد ترج وافق أولادها على ذلك الطلب ، فقد كان عرفان يحب أخته أمينة كثيرا منذ الصغر ، وعلم منها أن أبناء إخوتهم يحاولون الصلح معها ، وإعادة الحياة لحياة العائلة القديمة ، فسر عرفان لهذا الأمر وقال معلقا : هذا خير يا أمينة ! على المرء أن ينسى كل الأحقاد والضغائن.. وأنا رغم ما لقيت منهم أيام الطفولة من جفاء واحتقار وصد وبغض .. ونسيان وإهمال لا أحقد عليهم كما يتصورون .. رغم العناء الشديد الذي واجهناه وآلام أبي المريض ومن قبل أمي .. إنني الآن لا أفكر فيهم.. ولا أظن أن لهم في قلبي كره وما حاولت الانتقام منهم .. بادلتهم جفاء بجفاء .. لم أحاول أن أسعى إليهم ؛ لأنني نسيتهم مع الأيام .. والأيام كما تنسينا الأموات والآلام تنسي الأحقاد والجروح؛ فإذا أراد الإنسان أن ينسى أحقاده وبغضه وغضبه يستطيع ذلك.

فتعجبت أمينة من كلامه وقالت : هل يعني هذا الكلام إذا أقبل إليك إخوتك اليوم تصفح عن الماضي ؟!

فقال عرفان : ولو جاءوا قبل اليوم ؛ فإنني أصفح عنهم .. أنا لم أحبهم منذ الصغر ولا يعني هذا أن أبغضهم .. كنت ألومهم أكثر من بغضهم وحقدي عليهم.. لقد قصروا في حقنا نحن الصغار .. وحق أبيهم الضعيف .. هم الذين هجرونا وتخلوا عن والدهم الضعيف الذكور والبنات .. وإن كنت تشيرين إلى موقفي من قصة زواج المرحومة مريم وذاك الشقي أنا تمنيت

أن لا يتم هذا الزواج ؛ ولكني لم أرفضه أو أتدخل فيه كما فهم ذلك المنحوس .. فهو الذي ضخمه وكبره .. ولم أجلس معه ليسمع رأيي.. رأيته مرة بضع دقائق إن لم تكن ثواني في ممر المستشفى مع مريم ، وعرفتني به كزميل في الكلية وانصرفا.. ونحن الآن على حافة القبر.

فقالت أمينة : لقد حضر إخوتك إلى بيتي .. واعتذروا لي عن الأيام السوداء ، فقلت لهم مثلما قلت لي الآن لم يبق للحقد مكان ، وكل واحد في بيته، وفي حاله، وبين أفراد أسرته ، ويومها تمنوا لقاءك ، فحدثتهم أنك مريض وتعالج في أمريكا، وقد حاول أحد أحفاد أخيك زياد أن يسافر إليك ليطمئن عليك ، ويطلب منك العفو والصفح عن زلات وأخطاء الماضي.

ضحك عرفان وقال : هذا جميل ! كان يجب أن يظهر هذا من زمان.

قالت : هذا حق .. ولكن حادثة موت مريم وإعدام جرير قربت البعيد ، وهزت النفوس ونحن أحببنا أن لا تتزوج مريم منهم ..ولكن الدكتور أحمد ـ رضي الله عنه ـ كان يؤجل ذلك إلى ما بعد انتهاء الجامعة.

فقال متأسفا : لا حول ولا قوة إلا بالله .. قدر الله وما شاء فعل .. هذا قدرها نسأل الله لها الرحمة .. وأنا يا أمينة لا مانع لدي من مصافحة الأخوة العاقين ، ورحم الله والدي الذي مات متحسرا على ضعف علاقة الأخوة وبرودها.. كانت أياما قاسية ومريرة ولولا فضل الله ، ثم ذلك الرجل رومانوس لما حصل لي كل هذا الخير والمال .. تذكرت أمنا الصابرة يا أمينة .. رحم الله والدتنا ورحم الله أبي مات والقهر يملأ نفسه وقلبه .. أنا متأكد من ذلك.

وتساقطت الدموع منهما ، وأخذا يترحمان على روح والديهما وقالت أمينة : لقد تعذب أبونا كثيرا بسبب أبناء زوجته الأولى .. كانت امرأة قاسية .. على كل حال ـ رحمها الله ـ هي الآن في دار الحق دار الموت.

فقال : وإخوتنا عليهم حق كبير يا أمينة .. لقد تعلم زياد وكبر .. وكان يستطيع معرفة الحق والصواب والخطأ والباطل ؛ ولكنه كان أنانيا محبا لنفسه .. كان يستطيع أن يساعدنا ويقف معنا ولو سرا وخفية عن أمه .. ألم أترك المدرسة واشتغل بائعا متجولا على محطات السيارات

والباصات وغيرها ؟ .. تنهد عرفان وتابع قائلا : أيام لا تنسى يا أخية ولكني أتناسها !.. كانت أياما مريرة وأمر من العلقم .. كم بكت عيناي؟! كم ذاق هذا الجسد من البرد والمطر والجوع والعري؟! وكم أحسست بالحسرة والضياع ؟! .. أنا أريد مصافحة إخوتنا يا أمينة من أجل أبنائهم وأحفادهم .. فأولادي لا يعرفونهم .. ولا أظن أنهم سيحاولون التعرف عليهم، فقد مكثت أشهرا وأشهرا وأنا أحاول إقناعهم برحيلي إلى هنا لأموت هنا وأدفن هنا بل فكروا ببيع القصر وإغلاق كل مصالحنا هنا .. ولولا خوفهم من موتي وزعلي لأجروا ذلك .. إنهم ليسوا أبناء هذا الوطن مثلي .. أنا أحن إليه أما هم فكلا ، لا حنين لديهم.. أنا حنيني كبير إليك وللمكان الذي مات فيه أبي وأمي .. فأنا في الحقيقة أريد مصافحة الأولاد والأحفاد.. ولا أنكر أن فعل ذلك الصبي قد أثر فيّ أيضا ؛ ولكنه مجرم بطبعه ، ولابد أنه كان مريضا .. فالمجرم مريض .. لقد أطلعني سعدي قبل سفري للعلاج على اعترافاته المؤلمة.

فعادت أمينة تقول : يا عرفان .. إذا كنت لا تريد مصافحة إخوتك فهذا شأنك ، وإنما أحببت أن أنقل لك رغبة الأحفاد والأولاد.

فقال وهو يتذكر الزمن البعيد : قلت لك بداية لا بأس .. القصر مفتوح للجميع وأنا جاهز للقاء الجميع الصغير قبل الكبير.

فقالت : أعلم أن قلبك كبير يا عرفان! وسأتحدث مع ولدي أحمد ليخاطبهم بذلك .. وهو يرتب وقتا مناسبا لك لحضورهم حتى يسلموا عليك.

فقال عرفان : وأنا مستعد أيضا للذهاب إلى أي مكان يتفقون على الاجتماع فيه .. وليس بالضرورة أن يكون اللقاء في هذا القصر..

فقالت أمينة : سأتشاور في ذلك مع أحمد وإخوته ..وأنا سعيدة بعفوك ونسيانك أو تناسيك الماضي .. فالأولاد ليس لهم ذنب بابتعادنا عن بعض ، فلا نمنع من التقارب بينهم .. العجيب أن الكره والبغض يتوارث أحيانا .. فلا نريد أن نموت ونترك ذلك الأمر متوارثا حتى لا يصبح عادة ودينا في الأسرة وبين الأخوة .. يكفي ما اكتوينا نحن بناره.

فقال عرفان : لم نكن نحن البادئين .. هم الذين ابتعدوا ونسونا وهجرونا .. فافعلوا ما شئتم يا أخية وما ترونه مناسبا ولائقا .. فأنا عدت للبقاء هنا حتى تخرج الروح إلى بارئها .. فالراحة والسكون كلي شوق وحب لهما.

ـ سأتصل بأحمد وإخوته ليأتوا لزيارتي اليوم .. وأعرض عليهم ترحيبك بلقاء الأهل والأحفاد والأقارب.

ولما تلقى أحمد الاتصال من أمه ، وسمع منها موافقة خاله على أي لقاء مع إخوته وأخواته كاد يطير من الفرح والسرور ، ووعد أمه بالحضور هو وإخوته إليهم الليلة، ولما اجتمعوا بخالهم ليلا وأظهروا سرورهم بموافقته على لقاء إخوته ، قال لهم عرفان : أنتم طيبون .. أنا لم أكن ضد أي لقاء تصالحي معهم ، ولما نسيت هذا الوطن بسبب الغربة والهجرة نسيتهم ، لم أعد أذكرهم منذ استقر بي المقام في فنزويلا ، ولما علمت بموت أمكم نسيت هذا البلد ولم أعد أفكر به .. كانت أمينة الحبل الأخير لي في هذه البلاد.. لذلك لما عاودني الحنين أتيت وعمرت هذا المكان ، ولم أفكر بأمينة لاعتقادي أنها ميتة ؛ ولكن بعد سنوات تذكرت فطنت أن لأمينة أولادا.. فاشتاقت النفس للتعرف عليهم .. لم أسأل يوما ما عن إخوتي أولئك ، ولم يخطروا في بالي .. فقد ماتوا في قلبي ونسيتهم .. فلما علمت بحياة أمينة صعقت وذهلت وهذا تعلمونه فأخوالكم لم يفكروا بي يوما ما .. من قبل أن تولدوا ويولد أولادنا وأحفادنا .. لقد كانوا قساة القلوب .. فما دخلي أنا وأمينة في زواج أبينا على أمهم ؟! .. ولكن خمسون تنقص قليلا تنسي المرء حرارة الهجر وساعات الحرمان .. تعلم أمينة كم شقيت لتوفير الدواء لوالدهم !.. فيا أحفادي أنا لست لهم عدوا .. لي سنوات هنا ، ويعرفون بحياتي ، ولم يحاول أحدهم الاتصال بي .. تجاهلونني كما تجاهلتهم.. ولست حاقدا عليهم لذلك .. فهم نسوني كما نسيتهم .. فلا لوم بذلك فنحن سواسية .. أنا أعرف أن قصة مريم وذاك المجرم هي التي حركتهم وذكرتهم بكم.. ونحن سننسى الماضي والذي فات مات كما قلت يا أحمد .. وصدقوني أنني لا أبغضهم .. ولكن لا أحب صحبتهم .. وسأقبل مصافحتهم من أجل الأحفاد ومن أجلكم أنتم .. وأنا أعتقد أن

الذي سخر مني ومن أمينة واحد منهم .. أرسل لي برقية بموت أمينة ، وأرسل لأمينة برقية بموتي .. ولا أريد معرفة ذاك المجهول لأنه لا يعيد الماضي.

فقال أحمد : نشكرك يا خال .. فنحن الأولاد صحيح لم نكتو بنار الهجر والبعد والخصومة ؛ ولكن ظهور ذاك المجرم في حياتنا أيقظ أشياء نائمة وغائبة ، وأن هناك صلات رحم مقطوعة فمن أجل ذلك رضيت بالتشفع والتوسط بين الأخوة الكبار، ولنرفع الحرج عن الأفراد والأحفاد حتى إذا التقوا في أي مكان أو مناسبة كالأفراح والأتراح لا يتظاهرون بعدم معرفة بعضهم بعضا .. فهذا الذي شجعني على السير مع ابن خالنا الدكتور هشام زياد وأخوه المحامي فريد زياد

فقال عرفان : أنا تحت إرادتكم .. ويسرني لقاء كل هؤلاء الأبناء والأفاضل.. وكلنا أولاد آدم وآدم من تراب .. على الرحب والسعة فاختاروا المكان المناسب لهذا اللقاء.. والقصر تحت تصرفكم .. وما أتى بي لهذا البلد سوى الحنين والسنوات التي عشتها أيام الطفولة المعذبة فيه رحماك يا الله!!

قال أحمد : يا خالي الكريم .. سأدعو أولاد أخيك زياد لمقابلتك في البداية ، ثم نرتب أمر لقاء الأخوة والأخوات..

ـ افعل ما تراه مناسبا .. وأنا في انتظاركم .. وأريد منك يا أحمد ممرضة ذكية وفطنة تسكن في هذا القصر، ولو كانت متزوجة .. فالقصر واسع تسكن معها زوجها وأسرتها.

فردد أحمد : ممرضة ماهرة .. سأبذل جهدي .. المشكلة في التقاليد الاجتماعية هنا فعسى أن أجد طلبتك ومن ترضى بالمقام عندكم.

فقال عرفان :أنا طلبت من مدير المستشفى الخاص الذي وهبنا الله إياه ..فاعتذر لي عن ذلك .. فلا ممرضة تريد ذلك خصوصا المبيت .. وأنا أريدها في كل وقت وحتى الطبيب الخاص المقيم بالقصر يريد تركي فهو غير مرتاح للحياة في القصر

ـ أنت تحتاج لطبيب كبير في السن أرمل.

فقال عرفان مبتسما : الحقني به يا خالي يا ابن أمينة العزيزة.

ـ سأفعل يا خالي ، وإن اضطررت أن أتعاقد لك مع طبيب وممرضة أجنبية .. أتسمح لي بالاتصال بولديّ أخيك زياد يقول المثل خير البر عاجله

فأشار برأسه بالموافقة ، فقام الدكتور أحمد حيث يرقد جهاز الهاتف ، وأدار الرقم على ابن خاله هشام فردت زوجته ، وأخبرته أنه عند والده النزيل بالمستشفى ، فدعا لخاله بالشفاء ، وأخذ اسم المستشفى ، ثم طلب المستشفى وبعد لحظات كان يتحدث مع السيد الدكتور هشام زياد ، فبعد التحية والسؤال عن حال وصحة الوالد قال أحمد : إنني أتحدث معك من بيت عمك عرفان الفنزويلي كما يحب أن ينادى .. هو مسرور من مقابلتكم .. أنت قادم نحن بانتظارك لو أحضرت أخاك فريدا معك سأكلم أمن الباب بقدومكم .. نحن بانتظاركم لا تقلق خالي ينام في النهار ويحب السهر في الليل .. إنه لم يتناول العشاء بعد .. أسرعوا فخير البر عاجله.

كان والد هشام وفريد يرقد على سرير الشفاء، فقد أخذت الشيخوخة منه وأمراض الصدر والروماتيزم في المفاصل ، فقرر الأطباء إدخاله المستشفى بضعة أيام ليبقى تحت المراقبة والمتابعة فتحدث هشام مع أخيه المحامي عن الهاتف الذي تلقاه من أحمد داود فقال فريد : رائع !.. إنها فرصة كبيرة للم شمل الأخوة بعد كل هذه القطيعة الطويلة.

فقال الوالد لما استأذناه بالانصراف قال : من المتصل يا هشام ؟

فتطلع هشام في وجه أخيه فريد، ولم يرد فرد فريد : خبر مهم يا أبي .. هذا الدكتور أحمد ابن أختك أمينة اتصل بهشام من قصر أخيك الصغير عرفان يخبره أن الخال له والعم لنا لديه رغبة بالصلح ونسيان العقود الماضية من الهجران والتجاهل ويريد منا أن نقابل عمنا الليلة.

ارتسم الفرح على وجه زياد وقال : صحيح ما يقول فريد يا هشام ؟

ـ أجل يا أبي! سنذهب لمقابلة السيد عرفان.

فقال الأب : ما رأيكم أن أذهب معكم.. إني مشتاق لرؤية أخي .. آه! كم قصرنا في حقه ؟! .. وفي حق أمينة ومن قبل في حق أبينا .. سامحك الله يا أمي لقد كان قلبها قاسيا .. ونحن كان

يغمرنا الجهل والضيق والعصبية ، عندما تزوج أبي ناصر ـ رحمه الله ـ أم عرفان كنت شابا صغيرا تصورت أن ذلك إهانة وظلم وغير ذلك من الكلمات الثقيلة .. خذوني معكم إني أريد أن أرى أخي قبل الموت .. أشعر بدنو الأجل.

فقال فريد : الأمر بيد الله يا والدي فعندما نقابل عمنا العزيز سنحدثه عن شوقك إليه ؛ فلربما أتى بنفسه ليراك فأنت ضعيف يا أبي .. امسح هذه الدموع .. الأمور ستتحسن ويلتئم الجرح.

فقال زياد : إنها دموع الندم والأسف .. عرفان الصغير إني أرى الماضي يتمثل في ذهني ساعة بساعة .. علامات الأسى المرعبة على وجه أبي عندما رحلنا عنه .. دموع أمينة .. لقد كانت قلوبنا من حجر يا أولاد .. اذهبوا انطلقوا .. حضن من عمكم يمسح دموع الماضي وهمومه ، وسلموا لي على عمكم الصغير.

هجم الرجلان على يد عمهم يقبلانها ، ويذرفون الدموع الغزيرة ، وعرفان يبكي وأمينة تبكي ويقول عرفان : لقد حرمنا والدكم من هذه العواطف من هذا الحب يا أولاد .. قاتل الله الجهل والكبر.

أخذ الرجلان يتحدثان عن ندم والدهم وعلى تفريطه في حقهم وحق والده ناصر، وكذلك ندم باقي الأخوة والأخوات والتقصير في حق أخويهم من أبيهم ، وأمضى الجميع سهرة ظهرت فيها العواطف الجياشة والأسف على ضياع هذه السنوات في الابتعاد والصد والتحاشي لبعض ، والتجاهل الكامل لبعضهم ، وسمع الجميع بعض الصور والمشاهد من حياة عرفان وسفره وهجرته ونجاحه في بلاد الأجانب حتى أن هشاما قال متمنيا : يا ليت ـ يا عماه ـ نستطيع أن نتعرف على أولادك.

تبسم عرفان وقال : أمنية صعبة .. ولكن أحمد وأولاد أمينة قد رأوا بعضهم.. فأولادي لا يميلون لهذه البلاد ذرة ميل .. إنهم متعلقون ببلد أمهم ـ رحمها الله ـ وأعمالهم متيسرة هناك ، وأخذ يحدثهم عن أولاده وأحفاده وشركاتهم ورغبتهم الشديدة ببقائه عندهم ثم قال : يا أولاد .. إنني لم أحدثهم كثيرا عن هذه البلاد، فبعد علمي بموت أمينة قطعت صلتي بهذه البلاد إلى

الأبد ، والتفتت إلى الأعمال الكبيرة التي كنا نقوم بها.. ولما كبر الشباب وبدأت أعتمد عليهم في إدارة المشاريع والمصانع .. عاودني الحنين للوطن فأتيت لبناء هذا القصر على الطراز الإسباني وقضاء بعض مواسم الصيف فيه إلى أن خطر في بالي يوما أن أسأل عن أولاد أمينة .. لقد نسيتهم في عجلة الحياة .. أو قولوا أردت أن أنسى كل شيء يربطني بهذا الوطن مات أعز الأشخاص لديّ أبي وأمي وأمينة وطلقت زوجتي التي ؛ ربما لو صبرت معي لظللت موصولا بالبلد .. ولكنها صعبت عليها الحياة في بلاد الأجانب أو قل الهوى كما اتضح لي هو الذي حرمها ومنعها من الرضا والقناعة بالحياة معي .. فلما عرفت بحياة أمينة لم تسعني الدنيا سعادة وفرحا ازداد حب هذا البلد في قلبي ونفسي .. وهذا عاقبته خير لنتـعرف عليكم .. إذا مد الله في العمر سأحاول إقناع بعض الأولاد بالمجيء إلى هنا لتتعارفوا أو أرتب لكم رحلة تعارف إلى هناك وتتعرفوا على أولاد عمكم عرفان، وربما تزوج بعضهم ببناتكم .. ربما.

ووعدهم عرفان في آخر السهرة إن سمح له الطبيب بركوب السيارة أن يزور أخاه زيادا .. فشكروه على شعوره وتسامحه .. وغادر الجميع القصر هشام وفريد وأحمد وزوجته واخوته وزوجاتهم.. وكان هذا اليوم عندهم يوم عيد يوما تاريخيا ، وشكر هشام وفريد ابن عمتهم أحمد على جهده ودوره الكبير في تهيئة هذا اللقاء الجميل مع العم عرفان .

رتب الأخوان هشام وفريد اجتماعا مهما لأبناء ناصر الرشيدي وأحفاده وتصافح الأخوة مع عرفان ، وكان الكل يبدي أسفه وندمه على الأيام الماضية أيام الهجر والتجاهل، وكان هشام يقول لهم : علينا أيها الأحباب أن ننسى أو نتناسى على قول عمي عرفان مرارات الماضي وذكرياته، ليس من أجل الكبار فحسب بل من أجلنا نحن ، ومن أجل أبنائنا ، فالحنان والمودة بين الأخوة والأهل ركن أصيل وأساسي في دفء الحياة الاجتماعية ،ونحن سعيدون بالجلوس مع عمنا وخالنا الفاضل عرفان ناصر الرشيدي .. الذي تفخر الأسرة بجده وتاريخه.

فنهض عرفان على عصاه وببطء فقال : الشكر لله أولا.. وحقيقة أنني سعيد ومغتبط بهذا الصلح .. فالشكر الجزيل لكل من ساهم فيه ، وسعى فيه ، وأخلص نيته في الوصول إليه .. أنا فقط في

هذه اللحظات الصادقة عرفت معنى الأخوة والحب .. وأرى أن الأولاد خير منا .. وقد تمنيت الآن أن يكون أولادي بينكم ليعرفوا أن لهم أهلا وأقاربا .. ولكن هيهات هيهات.. فلم أحاول يوما ما زرع حب هذه البلاد في قلوبهم ، بل لم أذكرها لهم أو أمامهم .. وقد تعجبوا عندما اتخذت هذه البلاد البعيدة عنهم لإقامة هذا البناء ، وبعض المشاريع التجارية والخيرية .. يومذاك عرفوا أنني من هذا الوطن العربي ..وما أنا فنزويلي الأصل .. فلم يصدقوا حتى أقسمت لهم أمهم ابنة تلك البلاد تغمدها الله بالرحمة أنني من أصول عربية لماذا فعلت ذلك أيها الأحبة ؟!.. من الجور والقسوة التي تلقيتها من أحب الناس إليّ .. فعزمت وصممت على نسيان قومي وأهلي .. وقد نجحت ولكن الحنين قد غلبني في النهاية .. فعدت وكانت المفاجأة بعد عشر سنوات من ترددي على هذا الوطن أنني وجدت المخلوقة الوحيدة التي أحببتها من أهل هذا الوطن حية .. فعادت إليّ الحياة من جديد .. وأتمنى من أعماق قلبي والنفس أن لا يقسو بعضنا على بعض .. فالحياة الحقيقية أن نحب بعضنا بعضا .. ولا ندع الكره والبغض يطول ويكبر.

صفق الحاضرون هذا اللقاء التصالحي .. لهذا الخطاب التاريخي في حياة هذه العائلة..

وهنا دخل الخادم الفنزويلي المخلص للسيد عرفان السيد لويس يعلن أمام الجميع : الطعام ومائدة السيد عرفان جاهزة أيها السادة الكرام فتفضلوا

وكان السيد عرفان قد طلب من أحد المطاعم الكبيرة إعداد وليمة تليق بهذه المناسبة الكبيرة في حياة الأخوة الثمانية ، أولاد الرجل الفقير ناصر قدري الرشيدي

تمت الرواية

* بصمة وراثية *

عاد للوطن بعد غياب طويل

ووجد أن شقيقته ما زالت حية

ووجد أن له ولدا من مطلقته فكيف سيعرف الحقيقة ؟

ولما حان وقت الاعتراف به شرعا وقانونا قتلت المطلقة

وبعد أيام قتلت حفيدة شقيقته ثم تعرض هو للقتل

فكان القاتل صدمة للجميع وكان الصلح بين الجميع



التحقيق الجنائي والجريمة

١	وصية جديدة	٢	مغامرة النادي
٣	مصرع المدير	٤	شارع البحيرة الخامسة
٥	ليموت الماضي	٦	صورة أمي
٧	بصمة وراثية	٨	رجل اسمه سنار
٩	جثة في البركة	١٠	مسبحة اللؤلؤ
١١	لغز القصر الصحراوي	١٢	الزواج الخطأ
١٣	نفس الشعب	١٤	لغز مقتل علياء
١٥	العالِم المزيف		